

۱۰۱۰۱
۷۷۴۳ خ
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب الشفا بتعریف حقوق المصطفی
مؤلف قاضی ابو الفضل عیاض
موضوع
شماره قفسه ۸۲۰۹
شماره ثبت کتاب
۷۸۰۵۹
بازدید شد
۱۳۸۲
۸۲۰۹

وسلم تسليما **اما بعد** اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين
ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم الله
بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من
معرفته ومشاهدة عجايب ملكوته واثار قدرته بما ملا قلو بهم
حبرة ووله عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحد
اولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة كماله وجماله
يتنعمون وبين اثار قدرته وعجايب عظمته يترددون وبالا
نقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت على السوال في
مجموع يقدر المصطفى عليه الصلوة والسلام وما يجب له من توقير
واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في
حق قدر منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا
وايمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال والله المو فق
فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني
فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملا قلبي رعبا
فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف
عن غوامض ودقايق من علم الحقايق مما يجب للنبي صلى الله عليه
وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي صلى
الله عليه وسلم والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة و
خصايص هذه الدرجة العلية وها هنا مهامه فيح تحار فيها القطا
وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد
ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد لكني
لما رجوته لي ولك في هذا السوال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم
وخلقه العظيم وبيان خصايصه التي لم تجتمع قبل قط في مخلوق وما يدين
الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب

ويزداد الذين امنوا ايمانا ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا يكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراتي
عليه قال اخبرنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر النمري اخبرنا ابو محمد بن عبد المومن
اخبرنا ابو بكر بن محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث ثنا موسى بن اسمعيل
ثنا حماد ثنا علي بن الحكم عن عطا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة
فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤدية من ذلك الحق المفترض اختلستها
على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه الانسان من
مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن
التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما
يحمد غدا ويذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه
بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده
جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر
دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا عنه برحمته وما انويت
بتعريبه ودرجت بتبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره
وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام
اربعة القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى بقدر هذا النبي المصطفى قولا وفعلا
وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم
قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله له المحاسن خلقا وخلقا
وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون
فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره
عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرمته وفيه اثنا عشر فصلا الباب
الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات وفيه ثلاثون فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من معرفة
حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الا

به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في
لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم
توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم
وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما يستحيل في
حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه
وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له
كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم
على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعدته والتفصي
عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملا
انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره
وينحصر الكلام فيه في بابين الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به
القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية
وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم
الرابع في تصريف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام
وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب
ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في حكم شانيه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه
ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه
المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله
وملائكته وكتبه وال النبي وصحبه واختصرنا الكلام فيه في خمسة
فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان
لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس
ويشفي صدور قوم مومنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى
لا اله سواه استعين القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا
قال الفقيه القاضي الامام رضي الله عنه ابو الفضل وفقه الله لا خفاء على من ما

رس

شيا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه اياه بفضايل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام و تنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسن والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا و عودا والحمد اولى واخرا ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضايل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ قراءة مني عليه قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قال حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال ثنا اسحاق بن منصور ثنا عبد الرزاق انبانا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا

الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه

اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الاول

فيما جاء في ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى

المومنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه و يحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد ذلك باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته بمومنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمايه رووف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلها نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيا مما كانت عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد الصادق علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة البشرية البسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته

رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم
وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا
وقال صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة وقال السمرقندي رحمة
للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومنين رحمة بالهداية ورحمة
للمنافقين بالامان من القتل ورحمة للكافرين بتاخير العذاب قال ابن عباس
هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وروي
عن محمد بن جعفر الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين
اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم
وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه
الرحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله علي بقوله ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم امين وقال تعالى الله نور السموات والارض الاية قال
كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل
نوره اي نور محمد وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات
والارض ثم قال مثل نور محمد وقال سهل اذ كان مستودعا في الاصلاب
كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب
دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم وضرب
المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضي اي تكاد نبوة محمد تبين
للناس قبل كلامه كهذا الزيت قال ابو سعيد الخراز اراد بالمشكاة جوف محمد والزجاجة
قلبه والمصباح النور الذي جعل الله فيه وقد قيل في هذه الاية
غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع نورا وسراجا
منيرا فقال قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله الم
نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب
قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما
وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك الوسواس وقال ووضعنا عنك

ووزرك

ووزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني
قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهرك
من الرسالة حتى بلغتها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي
قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان وقيل في الاقامة جلّ اسمه
وقيل في التشهد قال الفقيه القاضي وفقه الله هذا تقرير من الله
لنبيه عليه السلام على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته
عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة
ورفع عنه ثقل امور الجاهلية وبغضه اليه سيرها وما
كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء
الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم
مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه اسمه مع اسمه قال
قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله روى ابو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف
رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت
معي قال ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال
ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر
بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني
بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره
معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال
اطيعوا الله والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما
بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه
عليه السلام ثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ
فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه قال ثنا ابو عمر النمري
قال ثنا ابو محمد بن عبد المومن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا

ابو داود السجزي ثنا ابو الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن
منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله
ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى
الادب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها
بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك
ومثله معنى الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال
اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما
فيه من التسوية وذهب غيره الى انه كره له الوقوف على يعصهما وقول
ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد
غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب
المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة
على الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه بعضهم لعلة التشريك
وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون
وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله
ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روي انه لما
نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى
عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته
رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله في ام الكتاب اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط
المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه وحكى ابو
الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ
ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط
الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد وقيل الاسلام
وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها نعمة محمد

حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما صح

عليه السلام

وقال

وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآ
يتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه
وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق به بالتخفيف
وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير
هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الفصل الثاني في وصفه تعالى
له بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة قال
الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآ
يتين جمع الله له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المد
حة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصا
يصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته و
داعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا
الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا
ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن
يوسف ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال عن عطاء
ابن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي قلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة
ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس
بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان
يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا
وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه
عن ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة

لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية وقد قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكر الله تعالى منته انه جعل رسوله رحيما بالمومنين رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله فضل نبينا وفضل امته بهذه الاية وفي قوله تعالى في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك الاية قوله وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم وكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبيا هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم

والرسول

والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد عليه السلام يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد عليه السلام هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها الله في محمد عليه السلام وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد عليه السلام قال سهل بن عبد الله التستري حكاه مكي

الفصل الثالث فيما ورد في

خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب وحكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل يجب على المسلم المجاهد نفسه الرايض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب باداب القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية

والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب
الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من
من الفوائد كيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو
قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله
الانبيا بعد الزلات وعاتب نبينا قبل وقوعه ليكون بذلك
اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية
ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ما عتبه عليه وخيف
ان يركن اليه ففي اثنا عتبه برائته وفي طي تخويفه تامينه
وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون فانهم لا يكذبونك الآية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل
للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جيت
به فانزل الله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك الآية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني
قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله هذه الآية
ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه
السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم
وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا
وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير
ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين
ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه
من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد
انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله ووعده

النصر

النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا الآية فمن قرأ
يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفرا والكسائي
لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه
ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا
يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به ان
الله تعالى خاطب جميع الانبيا باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم
يا داود يا موسى يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا
ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر الفصل الرابع
في قسمه تعالى بعظيم قدره ❁ قال الله تعالى لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل
جلاله بمدة حياة محمد عليه السلام واصله ضم العين من العمر
ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك
يا محمد وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف
قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من
محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره
قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه
وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم
الآيات اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو
محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي
عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له
وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه
اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن
عباس يس يا انسان اراد محمدا وقال هو قسم وهو من اسما
الله تعالى ❁ وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل
قيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس

قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السما والارض بالفي عام يا محمد انك
لمن المرسلين ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من
اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم
ما تقدم ويوكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان
لمعنى الندا فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته
اقسم تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين بوحيه الى عباده
وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عد
ول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تبارك وتعالى لاحد من انبيائه
بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل
من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم
وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم
به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زايدة
اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على
التفسيرين والمراد بالبلد عند هولا مكة وقال الواسطي اي
نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك
ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده
يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في
تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها
وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من
قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي ان شاء الله
اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به
في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قال ابن عباس
هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك
وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله واللام جبريل و
الميم محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه

الى

الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القران لا ريب
فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه
ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه ونحو ما تقدم وقال ابن عطا
في قوله ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب محمد حبيبه صلى الله
عليه وسلم حين حمل الخطاب والشهادة ولم يوثر ذلك فيه لعلو
حاله وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم الله سبحانه وقيل جبل محيط
بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى
انه محمد عليه السلام وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار
وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطا في قوله والفجر وليال
عشر الفجر محمد لان منه تفجر الايمان الفصل الخامس في قسمه تعا
لى جده له لتحقق مكانته عنده قال جل اسمه
والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه
السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل
لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به
المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال القاضي الامام
ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه
به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به
من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا
من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته
لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك
وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللاخرة
خير لك من الاولى قال ابن اسحاق اي ما لك في مرجعك عند
الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت
لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في
الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه

آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات
الإنعام في الدارين والزيادة قال ابن إسحاق يرضيه
بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض
والشفاعة وروي عن بعض آل النبي عليه السلام أنه
قال ليس آية في القرآن أرجى منها ولا يرضى رسول الله
أن يدخل أحد من أمته النار الخامس ما عدده الله تعالى
عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من
هدايته إلى ما هداه له أو هداية الناس به على اختلاف
التفاسير ولا مال له فأغناه بما آتاه الله أو بما جعله في
قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه عمي
~~اختلاف في التفاسير والإهمال له~~ إليه وقيل آواه إلى الله وقيل
يتيما لا مثال لك فآواك إليه وقيل المعنى ألم يجدك يتيما فهدى
بك ضالا فأغنى بك عائلا أم آوى بك يتيما ذكره بهذه المنن
وأنه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته
ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد
اختصاصه واصطفائه السادس أمره بإظهار نعمته
عليه وشكر ما شرفه به بنشره وإشاعة ذكره بقوله وأما بنعمة ربك
فحدث فإن من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لأمته
وقال تعالى والنجم إذا هوى إلى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى
اختلف المفسرون في قوله والنجم بأقاويل معروفة منها النجم
على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد أنه النجم محمد
عليه السلام وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله والسماء
والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب أن النجم أيضا
محمد حكاه السلمي فتضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد
ما يقف دونه العد وأقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه

عن الهوى وصدقه فيما تلاه وأنه وحي يوحى أوصله إليه عن الله
جبريل وهو الشديد القوى ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة
الإسرا وانتهائه إلى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى من
آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى في أول سورة الإ
سرا ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشا
هده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل
سماع أدناه العقول رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة على
التعظيم فقال فأوحى إلى عبده ما أوحى وهذا النوع من الكلام
تسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب
الإيجاز وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الأفهام
عن تفصيل ما أوحى وتاهت الأحلام في تعيين تلك الآيات
الكبرى قال الفقيه القاضي أبو الفضل فاشتملت هذه الآيات
على إعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من
الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وزكى قلبه
بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى
وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا أقسم بالخنس
الجوار الكنس إلى قوله وما هو بشيطان رجيم لا أقسم أي
أقسم أنه لقول رسول كريم أي كريم عند مرسله ذي قوة
على تبليغ ما حمله من الوحي مكين أي متمكن المنزلة من
ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم أمين أي في السماء أمين
على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم
هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف بعد على
هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الأوصاف إليه
ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في
صورته وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم ومن قرأه با

لضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه
لمحمد باتفاق وقال تعالى ن والقلم الايات اقسم تعالى بما اقسم به من
عظيم قسمه على تنزيه محمد صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به
وتكذيبهم له وآنسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة
ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الاداب في المحا
ورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا ياخذه عد
ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه
من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد
فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام
وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله وقال الواسطي
اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله
بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن
الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجا
زاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه
عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر
ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه
وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا
لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع
المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام
شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله
له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت
في ديوان مجده صلى الله عليه وسلم **الفصل الثالث** فيما ورد
من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام
قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه اسم من اسمائه
عليه السلام وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل

٢ السادس

ع

هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي
وقيل هو امر من الوطء والها كناية عن الارض اي اعتمد على الارض
بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله
ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الاية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل ولا خفا بما في هذا كله من
الاكرام وحسن المعاملة انا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت
قال انا ابو ذر الحافظ قال نا قال نا ابو محمد الحموي نا ابرهيم بن خزيم الشاشي
قال نا عبد بن حميد نا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع
بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على
رجل ورفع الاخرى فانزل الله طه يعني طا الارض يا محمد
ما انزلنا عليك القران لتشقى الاية ولا خفا بما في هذا
كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه
عليه السلام كما قيل او جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل
هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا اي
قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله
ايضا لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين ثم قال
ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خا
ضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تومر وا
عرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون الى اخر السورة وقوله ولقد استهزئ برسل من
قبلك الاية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه
ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما
حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله وان يكذبوك فقد

كذبت رسل من قبلك ومثل هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون نعزاه الله
بما اخبره به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله
ومحنتهم به وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكه
وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره
بقوله فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي في اداء
ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم
ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك
ونحفظك سلاه الله بهذا في اي كثير من هذا المعنى

الفصل السابع فيما اخبر الله به

في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء
وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال
ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه
وسلم بفضل لم يوته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه
الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث
الله نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان
ادركه ليومنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم
ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب
المعاصرين لمحمد عليه السلام قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لم يبعث الله نبيا من لدن ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد
في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به
ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي
وقتادة في اي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى

واذ

واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال
تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
الى قوله وكيلا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام
بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم
فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية
بابي وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان
اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في
الخلق واخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل
نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه السلام
لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق
اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله
ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث
الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات
وليس احد من الانبياء اعطي فضيلة او كرامة الا وقد
اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن
فضله ان الله خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة
والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول
وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته
لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم اي ان
من شيعة محمد لابراهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه
الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن في إعلام الله تعالى

خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب
بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم أي
ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة
وبقي فيها من بقي من المومنين نزل وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله
ولولا رجال مومنون الآية فلما هاجر المومنون نزلت
وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى
الله عليه وسلم ودرأته العذاب عن اهل مكة بسبب
كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة
منهم عذبهم الله بتسليط المومنين عليهم وغلبتهم اياهم
وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي
الآية ايضا تاويل آخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه
الله بقراتي عليه نا ابو الفضل ابن خيرون وابو الحسن
الصيرفي قالا نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا
محمد بن محبوب المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا سفين بن
وكيع نا ابن نمير عن اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد
ابن يوسف عن ابي بردة عن ابي موسى عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحوا
منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال
عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن قال بعضهم الرسول عليه السلام هو الامان الاعظم
ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته

فانظروا

فانتظروا البلاء والفتن وقال تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الآية ابان الله فضل نبيه صلى الله عليه
وسلم بصلاته ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة
والتسليم عليه وحكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء
تاول قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني
في الصلاة على هذا اي في صلاة الله علي وملائكته وامره
الامة بذلك الى يوم القيمة والصلاة من الملائكة ومنا لهم
دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى
الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة
والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في
تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله
لنبيه قال أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته قال ويهديك
صراطا مستقيما والياء تاييده قال هو الذي ايدك بنصره والعين
عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه
قال ان الله وملائكته يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم
وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الآية مولاه
اي وليه وصالح المومنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر
وعمر وقيل علي وقيل المومنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم
تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند
الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه
فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين
بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور
له غير مواخذ بما كان وما يكون وقال بعضهم اراد غفران ما

وما تقدم وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي جعل الله المنة سببا
للمغفرة وكل من عند الله لا اله غيره منة بعد منة وفضلا
بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل
بفتح مكة والطايف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وبنصرك
ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له
وبفتح لهم البلاد عليه واحبتها له ورفع ذكره وهدايته الصراط
المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته
على امته المومنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم
وبشارتهم بما لهم بعد عند ربهم وفوزهم العظيم والعفو عنهم
والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة وتعذيبهم
ولعنهم واخزهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعد محاسنه وخصايصه
من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل
شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة
ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليومن
بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه اي يجلونه
وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه اي
يعظمونه وقرا بعضهم يعززوه بزايين من العز والاكثر والا
ظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ويسبحوه
فهذا راجع الى الله تعالى قال بن عطا جمع للنبي صلى الله عليه
وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من
اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة
تبرية من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهدى
وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته
عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره

الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام

ية

وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر
وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته الغنايم
وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم وقرن ذكره بذكره
ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي
انما يبايعون الله تعالى ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم
يريد عند البيعة قيل يريد قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته
وقيل عقده وهذا استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد
بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون
من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهنا في
باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تعالى وهو
خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيته ولانه ليس في قدرة
البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم
تملا عينه وكذلك قتل الملايكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية
الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته
اي ما قتلتموهم اذ قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم
بالحصا والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة
الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر فيما اظهره الله سبحانه

في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما
خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك
ما نصه تعالى من قصة الاسرى في سورة سبحان والنجم
وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته
ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله

والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية
وقوله الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه
في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم
نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم
عن طلبه في الغار وما ظهر لهم في ذلك من الايات ونزول السكينه
عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكر اهل الحديث والسير
في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر اعلمه الله بما اعطاه و
الكوثر حوضه وقيل نهر في الجنه وقيل الخير الكثير وقيل المعجزات
الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه
قوله فقال تعالى ان شانيك هو الابتر اي عدوك ومبغضك
والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال
تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع
المثاني السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع
المثاني ام القران والقران العظيم سايره وقيل السبع المثاني ما في القران
من امر ونهي وبشري وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبا
القران العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة
وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وادخرها له
دون ساير الانبيا وسمي القران مثاني لان القصص فيه تثنى
وقيل السبع المثاني اكرمناك سبع كرامات الهدي والنبوة
والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينه وقال وانزلنا
اليك الذكر الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية قال فهذه
من خصايصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الي

سميت

الخلق

الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت الي الاحمر والاسود وقال
تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو
ماض وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمومنين من انفسهم
اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد
على العبد وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس وازواجه
امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم
بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في
الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته
المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية
قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار
الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الروية التي لم يحتملها
موسى صلى الله عليهما وسلم تسليما كثيرا

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع
الفضايل الدينيه والدنيويه فيه نسقا اعلم ايها المحب
لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الباحث عن تفاصيل جمل
قدره العظيم ان خصال الجمال والكمال في البشر نوعان ضروري
دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا
ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله تعالى
زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين
ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس
للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال
خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة
لسانه وقوة حواسه واعضايه واعتدال حركاته وشرف

لنسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه
ضرورة حياته اليه من غذائه وقوته وملبسه ومكتسبه
مسكنه ومكسبه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال
لخصال الاخرة بالاخرويه اذا قصد بها التقوي ومعونة البدن
علي سلوك طريقها وكانت علي حدود الضرورة وقوانين الشريعة
واما المكتسبة الاخرويه فساير الاخلاق العليه والاداب الشرعيه
من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع
والعفو والعفة والجود والشجاعة والحيا والمروة والصمت والتودد
والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي
جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في
الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه
فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل
الجبلة شعبة كما سنبينه ان شا الله وتكون هذه الاخلاق
دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها
محاسن وفضايل باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا
في موجب حسنها وتفضيلها فصل اذا كانت خصال
الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة
منها او اثنتين ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة
او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتي يعظم قدره وتضرب باسمه
الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة
وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت
فيه كل هذه الخصال الي ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال
بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة
والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والروية
والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة

والدرجة

والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الي
الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء
والامم وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة
عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية والرحمة للعالمين
واعطاء الرضي والسول والكوثر وسماع القول واتمام النعمة
والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر
وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملايكة وايتا
الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقران العظيم وتزكية الامة
والدعاء الي الله تعالي وصلاة الله والملايكة والحكم بين الناس
بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه
واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتي واسماع
الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر
ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع علي
الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصاء وابراء الالام والعصمة
من الناس الي ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه
ذلك ومفضله به لا اله غيره الي ما اعد له في الدار الاخرة
من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة
والحسني والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون
ادانيها الوهم

فصل

ان قلت اكرمك الله
لا خفاء علي القطع بالجملة انه صلي الله عليه وسلم اعلي
الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسنا وفضلا
وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني
الي ان اقف عليها من اوصافه صلي الله عليه وسلم تفصيلا
فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي
وحبك انك اذا نظرت الي خصال الكمال التي هي غير مكتسبة

وفي جبلة الخلقة وجدته حائزاً لجميعها محيطاً بشتات
محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ
بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه
في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة المشهورة الكثيرة
بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب
وعائشة ام المومنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة
وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء
ابن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه
صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل
اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع
الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع
الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين
والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور
المتجرد دقيق المسربة ربع القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول
الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكاً
افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رُئي
كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقاً ليس بمطهم ولا
مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم **قال البراء بن عازب**
ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى
الله عليه وسلم **وقال** ابو هريرة ما رايت احسن
شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري
في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر **وقال** جابر بن
سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم
مثل السيف فقال لا مثل الشمس والقمر وكان مستديراً

وإذا

وقالت

وقالت ام معبد في بعضها وصفته به اجمل الناس
من بعيد واحلاه واحسنه من قريب **وفي** حديث ابن
ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر **وقال**
علي رضي الله عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا
بعده صلى الله عليه وسلم مثله والاحاديث في بسط
صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في
وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد
الى المطلوب ان شاء الله تعالى وقد ختمنا هذه الفصول
بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله
تعالى **فصل** واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه
ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد
خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها
بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين
على النظافة **حدثنا** سفيان بن العاص وغير
واحد قالوا **نا** احمد بن عمر **نا** ابو العباس الرازي
نا ابو احمد الجلودي **نا** ابن سفيان **نا** مسلم **نا**
قتيبة **نا** جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس انه قال
ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً اطيب من ريح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه
صلى الله عليه وسلم مسح على خده قال فوجدت ليده
برداً وريحاً كأنما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب
او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع
يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت

امه بتعاور تجمع فيها عرقه فسالها عن ذلك فقالت
نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه
الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في
طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر
اسحاق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب صلى
الله عليه وسلم وروى الحربي عن جابر اردفني النبي صلى
الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي
مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمايله صلى
الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى
الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن
عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك
تاتي الخلاء فلا نرى منك شيا من الاذى فقال يا عايشة او ما
علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شي
وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة
الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي
وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه
البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم
من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه لم يكن منه صلى الله عليه وسلم
شي يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله تعالى عنه غسلت
النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا
فقلت طبت حيا وميتا ومثله قال ابو بكر حين قبل النبي بعد موته ومنه شرب
مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم
ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجا
مته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه

وقد روي

وقد روي نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن
تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عودة
وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري
في اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام
ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه
من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه
فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج
وغيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع
السرة وروي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر ومن كلام
من غير الرواية وعن عايشة ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قط وعن علي اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغسله
غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة
عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام
فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان محفوظا صلى الله عليه وسلم

فصل

واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه
واعتدال حركاته وحسن شمايله فلا مرية انه كان اعقل الناس
واذكاهم ومن تامل صحة تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة
الخلق العامة مع عجيب شمايله وبديع سيره فضلا عما افاضه
من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت
ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه
لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحقيقه وقد قال
وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها
ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا و
في رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط

لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضايها من العقل
في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين
رمال الدنيا **وقال** مجاهد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى
من بين يديه وبه فسر قوله عز وجل وتقلبك في الساجدين
وفي الموطا عنه عليه الصلاة والسلام اني لاراكم من وراء
ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عايشة مثله
قالت زيادة زاده الله تعالى اياها في حجته وفي بعض الروايات
اني لانظر من وراي كما انظر من بين يدي وفي
رواية اني لانظر من قفاي كما انظر من بين يدي **وحكى**
بقي بن مخلد عن عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى
في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رويته
صلى الله عليه وسلم للملايكة والشياطين ورفع النجاشي
له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة
حين بنى مسجده **وقد حكي** عنه انه كان يرى في الثريا
احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على روية العين وهو
قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم
والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء
وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل
من كتابه **نا** ابو الحسن المقري الفقيه الفرغاني حدثتنا
ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها **نا** الشريف ابو الحسن علي
بن محمد الحسني **نا** محمد بن محمد بن سعيد **نا** محمد بن احمد بن
سليمان **نا** محمد بن محمد بن مرزوق **نا** همام **نا** الحسن
عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام

كان

كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة
عشرة فراسخ ولا يبعد على هذه ان يختص نبينا بما ذكرناه من
هذا الباب بعد الاسرا والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى وقد
جات الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الا
سلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث
مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال**
ابو هريرة ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث
وفي صفته ان ضحكه كان تبسما واذا التفت التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب **فصل** واما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك
بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة
منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول
وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع
الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها
ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير
من الصحابة يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير
قوله من حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع تامل
قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي
المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والا
شعث بن قيس ووايل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاها لنا من دفيهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة
الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش

للحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث
راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من
اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن
شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع
الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في
الحياة ولا تثاقل عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الفريضة
ولكم الفارض الفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس
لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا
الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفا بالعهد والذمة ومن ابى
فعليه الربوة ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع
المشابيب وفيه في التيعه شاة لا مقورة الالياط ولا
ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا مم بكر
فاصقعوه ماية واستوفضوه عاما ومن زنا مم ثيب
فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرايض الله
وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا
من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هولا
على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه
الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث
الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال
فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله
في حديث العامري حين ساله فقال النبي صلى الله عليه
وسلم سل عنك اي سل عما شيت وهي لغة بني عامر واما
كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه

وفيه

وجوامع
الماثورة

الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها
ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى
بلاغة كقوله المسلمون تتكافا دماوهم ويسعى بذمتهم
ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان
المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى
له والناس معادن وما هلك امرو عرف قدره والمستشار
موتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم
او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يوتك
الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم
القيامة احاسنكم اخلاقا الموطوون اكنافا الذين
يالفون ويولفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه
ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون
عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السوال
واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد
البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيية
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور
اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى
ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات
يوم القيامة وقوله في بعض دعايه اللهم اني
اسالك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم
بها شعثي وتصلح بها غايبي وترفع بها شاهدي وتزكي
بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها
من كل سو اللهم اني اسالك الفوز في القضا ونزل الشهدا
وعيش السعدا والنصر على الاعدا الى ما روته الكافة
عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه

وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك
مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره
وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ
في قالبه عليها **كقوله** حمي الوطيس ومات حتف انفه
ولا يلدغ المومن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها
ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني
حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك
فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشات في بني سعد
فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها
ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التاييد الالهي الذي مدده
الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري **وقالت** ام معبد في وصفها
له حلو المنطق **فصل** لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات
نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج الى اقامة
دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم
وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه
ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده **حدثنا**
قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله **نا** القاضي ابو
الوليد سليمان بن خلف **نا** ابو ذر عبد بن احمد **نا** ابو محمد الحمو
خسي وابو اسحاق وابو الهيثم **نا** محمد بن يوسف **نا** محمد بن السر
اسماعيل **نا** قتيبة بن سعيد **نا** يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن
سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت
منه وعن العباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق

فجعلني

فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبايل فجعلني من خير قبيلة
ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني
كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم وا
صطفاني من بني هاشم **قال** الترمذي وهذا حديث صحيح **وفي**
حديث عن ابن عمر رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم **قال** بلغ
ان الله جل ثناؤه اختار خلقه فاختار منهم بني ادم
ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فا
ختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني
هاشم ثم اختار بني هاشم فاختار ~~قريشا فاختار منهم~~ بني
ني فلم ازل خيارا من خيار الا من حب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم **وعن** ابن عباس ان
قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم با
لفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملايكة بتسبيحه فلما خلق
الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح
وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الا
صلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي
لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور

فصل واما ما تدعو
ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب
الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الا
حوال فيه فاما ما التمدح والكمال الفضل في قلته اتفاقا
وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء

تمادح بفعلهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل
على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا
والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ
وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب
للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على
الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل
وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته غفلته
وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة
وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار
العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا
يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم
به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا
ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما
بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه نا ابو الفضل
الاصبهاني نا ابو نعيم الحافظ نا سليمان بن احمد نا بكر بن
سهل نا عبد الله بن صالح نا معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه
عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات
يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال ٢ بقلة الطعام ٤
سفيان الثوري ٢ يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا
كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وقد روي عنه صلى الله
عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي يعني ضعفا
كثرة الايدي عليه وعن عائشة لم يمتلئ جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا

يتشهاه

يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض
على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل
سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل
له فاراد بيان سنته اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستا
ثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله
هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة
نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال
سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله
صلى الله عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل
والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي
يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الا
كل ويستكثر منه والنبي عليه الصلوة والسلام انما كان جلوسه
للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد و
اجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق
عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت
بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا
ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا ٢ على قلة النوم لانه
على الجانب الايسر اهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به من الاعضاء البا
طنة ٢ واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ٢ حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستقل الاستثقال فيه والطول ٤
ولم يغمره الاستغراق **فصل** والضرب الثاني ما يتفق التمدح
بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا
وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عا
دة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة ما
ثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه
النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلوة والسلام تناكحوا تنا

سلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة وهي عن التبتل مع ما فيه
من قمع الشهوة وغض البصر الذين بنه عليهما صلى الله عليه و
سلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج حتى لم ير من العلماء مما يقدح في الزهد **قال** سهل بن عبد الله
قد حنن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة و
قد قال زهاد الصحابه كثيرين الزواجات والسراري كثيرين النكاح
وحكى في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره
غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته
من الفضايل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا
فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى بن مريم
عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما قررته انكم فاعلم ان ثناء
الله على يحيى بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا
ذكر له بل قد انكر هذا الحذاق للمفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه
نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب
اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه عن الشهوات
وقيل ليست له شهوة في النسا فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة
على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة
كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى فضيلة زايدة لكونها
شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها
وملكها وقام بالواجب فيها ولم يشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة
نبينا صلى الله عليه وسلم الذي الحج لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده
ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته
لهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هذا وان كانت من حظوظ
دنيا غيره فقال عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث
فدل على ان حبه لما ذكر من النسا والطيب اللذين هما من امور دنياه

غيره

غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لاخرته للفوايد
التي ذكرناها من التزويج وللقاء الملايكة في الطيب ولانه ا
يضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه
لهاتين الحطتين[2] لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي
المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك
ميز بين الحبين وفصل بين الحالتين فقال وجعلت قرة عيني
في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد
فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على
القوة في هذا واعطى الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحراير
ما لم يبح[1] لغيره **وقد روينا** عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان[1]
يدور على نسايه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى
عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا انبا
خرجه النساي **وروي نحوه** عن ابي رافع واخرجه البخاري
ايضا في صحيحه عن انس في كتاب النكاح كان يطوف على نسايه
في الليلة الواحدة وله يوميذ تسع نسوة **وعن** طاوس اعطي عليه
الصلوة والسلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان
بن سليم **قالت** سلمى مولاته طاف النبي عليه الصلوة والسلام
ليلة على نسايه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى
وقال هذا اطهر واطيب **وقد قال** قال سليمان عليه السلام
لاطوفن الليلة على مايه امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك
قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماية رجل وكانت له ثلثماية
امراة وثلثماية سرية **وحكى** النقاش سبع ماية[3] وتسعون امراة وقد
تمت بزوج او ربا ماية وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله ان
هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة **وفي حديث**
انس رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام فضلت على

[2] الخصلتين
[1] يبح
[3] ماية
على ز

الناس على بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش
واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه
في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى وجيها في الدنيا
والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الناس
الآخرة ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول
وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق
من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية
وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون
اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا
حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان
يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها كانت
لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة
وفي حديث ابن ابي مسعود ان رجلا قام بين
يديه فارعد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هون عليك
فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته
بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم ولا فخر وعلى معنى
هذا الفصل نظمنا هذا القسم بأسره **فصل** واما الضرب
الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه
والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجته وتمكن اغراضه
بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه
في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب
كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر
وانفقه

وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان
فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير
موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان
منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه
في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل
به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه
في مواضعه ولا وجهه في وجهه غير ملي بالحقيقة ولا
غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا
غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل
لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له
فكأنه ليس في يده منه شيء والمنفق غني لتحصيله فوائد
المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا
صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن
الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي
قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز
واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام
والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها
ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك
الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا امسك منه درهما ٢ ذلك
بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال
ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا
دينارا ارصده لديني ومات ودرعه مرهونة في نفقة
عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما دعته
ضرورته اليه وزهد فيما سواه وكان يلبس ما وجده

فلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على
من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر
اذا المباهاة في الملابس ما لتزين بها ليست من خصال الشرف
والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط
في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي
الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية التفخر فيه
في العادة عند الناس انما يعود الى التفخر بكثرة الوجود ووفور الحال وكذلك
التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الآلة وخدمه ومركوبه
بانه من ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو
حاير لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة
زايدة عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فا
نيها وبذلها في مظانها **فصل** واما الخصال المكتسبة من الا
خلاق الحميدة والاداب الشريفة التي تتفق جميع العقلاء على
تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا
عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة
الدايمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي
المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصا
فها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت
خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال
في غايتها حتى اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق
عظيم قالت عايشة كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط
بسخطه **وقال** عليه الصلوة والسلام بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن
الناس خلقا **وعن** علي بن ابي طالب مثله وكان فيما ذكره
المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل

باكتاب

باكتاب ولا رياضة الا بجود الاهي وخصوصية ربانية وهكذا ساير
الانبياء صلوات الله عليهم ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم
حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم
عليهم السلام بل غرزت هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم
والحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا **قال** المفسرون
اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه وقال ابن معمر كان ابن
سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب
خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى
وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه
وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني
يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله على كلام عيسى لامه
عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني على من قرا من تحتها وعلى
قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال
اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا وقال
ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان
وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به
داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما
وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل **وقال**
المفسرون في قوله ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره **وقال** ابن عطا اصطفاه قبل ابداء خلقه
وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله تعالى
ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل
افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم في النار ومحنته كانت
وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحاق بالذبح وهو ابن
سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان

وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما
هم اخوته بالقايه في الجب يقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم **وقد** حكى اهل السير
ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد
باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السما وقال في حديثه
صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الي الاوثان وبغض
الي الشعر ولم اهم بشي مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني
الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم
وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا
باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة
النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ
اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض
هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها
عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على
حسن السمت والشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد
بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة هة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين
يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف
السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة **فحكى** الطبري
عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه
عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصطفاه ،ه
وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
كل الخلال يطبع عليها المومن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب
في حديثه والجراة والجبن غرايز يضعها الله حيث يشا وهذه
الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة الجميلة كثيرة ولكنا

نذكر

نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه
وسلم بها ان شا الله تعالى **فصل** واما اصل فروعها
وعنصر ينابيعها ونقطة دايرتها فالعقل الذي منه ينبعث
العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا تقرب الراي وجودة الفطنة
والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس
ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء
الفضايل وتجنب الرذايل وقد اشرنا الى مكانه منه عليه
الصلاة والسلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية العصوى
التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما
يتفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع
جوامع كلامه وحسن شمايله وبدايع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكما وسير الامم
الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرا يع
وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي
اتخذ اهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة واشا راته
حجة كالعبارة والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذ لك
مما سنبينه في معجزاته صلى الله عليه وسلم ان شا الله تعالى
دون تعليم ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمايهم ولا مدارسة
بل نبي امي لم يعرف بشي من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره
وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة
وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص
واحاد القضايا اذ مجموعها لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ
جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سا
ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما كان وما يكون وعجايب
قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم

وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله
عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي
اليه **فصل** واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة
والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة
توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس
عند الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة
واما العفو فهو ترك المواخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه
صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وامر بالمعروف الاية
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية
سال ~~العالم ثم ذهب~~ فاتا جبريل عليه السلام عن تاويلها
فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان
الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الاية وقال فاصبر
كما صبر اولو العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا
الاية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء
بما يوثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة
وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع
كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما **حدثنا**
القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا **نا** محمد بن عتاب **نا**
ابو بكر بن وافد القاضي وغيره قالوا **نا** ابو عيسى **نا** عبيد الله **نا** يحيى بن
يحيى بن يحيى **نا** مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة
الله فينتقم لله بها **وروي** ان النبي صلى الله عليه وسلم

لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه
شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا
ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي
انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها
لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطي ظهرك وادمي وجهك
وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون **قال** القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل
ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية
الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على
السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا
وشفع لهم فقال اللهم اغفر واهد ثم اظهر سبب الشفقة
٢ فانهم
والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال لا يعلمون
ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ
نفسه وذكرها بما قال له فقال له ويحك فمن يعدل ان لم
اعدل خبت وخسرت ان اعدل ونهى من اراد من اصحابه
ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول
الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا
والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده
فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من
يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني

يا ابا سفيان ألم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت
وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى
صلى الله عليه وسلم

فصل واما الجود والكرم
والسخا والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره
ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة
التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
والسخا سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود
وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى
في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من
عرفه **نا** القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله **ثنا**
القاضي ابو الوليد الباجي **نا** ابو ذر الهروي **نا** ابو الهيثم
الكشميهني وابو محمد عبد الله السرخسي وابو اسحاق
البلخي **نا** ابو عبد الله الفربري **نا** البخاري **نا** محمد بن
كثير **نا** سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله
يقول ما سيل النبي صلى الله عليه وسلم شيا فقال لا
وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان
النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان
في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح
المرسلة **وعن** انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين
جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي
عطا من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل
واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقه

بن نوفل

ابن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن
سبايا ها وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب
ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير
ثم قام اليها يقسمها فما رد سايلا حتى فرغ منها وجا نا شي قضينا

رجل فساله فقال ما عندي شي
ابتع علي فاذا جانا

فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف
من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف
البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي **وذكر** عن معوذ بن
عفرا اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا
واجر زغب يريد قثا فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس كان
النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيا لغد والخبر بجوده صلى الله عليه
وسلم وكرمه كثير وعن ابي هريرة رض ان رجل النبي صلى الله عليه وسلم
يساله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجا
الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضا ونصفه نائل

فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة
الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها
الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم
منها بالمكان الذي لا يجهل وقد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة
والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا
يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه
جولة سواه **حدثنا** ابو علي الجياني فيما كتب لي قال **نا** القاضي
سراج **نا** ابو محمد الاصيلي **نا** ابو زيد الفقيه **نا** محمد بن يوسف **نا**
محمد بن اسماعيل **نا** ابن بشار **نا** غندر **نا** شعبة عن ابي اسحاق سمع
البرا وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر

ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان آخذ بلجامها والنبي
صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب
فما روي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي عن بغلته
وذكر مسلم وعن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى
المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو
الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع برسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث
وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب
الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا
اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رض انا اذا
كنا حمي الناس ويروى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى اشتد
الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد
الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم
اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن
الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق
الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى
الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو
يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول
اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين
افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد
شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من
المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول

الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير
الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم
فطعنه في عنقه طعنة تدادا منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من
اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك
فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك
والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة
فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري الانسان
في وجهه عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا
من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم
عن العورات اغضاء قال الله سبحانه ان ذلكم كان يؤذي
النبي فيستحيي منكم الآية **وحدثنا** ابو محمد بن عتاب رحمه الله
بقراءتي عليه **نا** ابو القاسم حاتم بن محمد **نا** ابو الحسن القابسي
نا ابو زيد المروزي **نا** محمد بن يوسف **نا** محمد بن اسماعيل
نا عبدان **نا** عبد الله **نا** شعبة عن قتادة سمعت
عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها
وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه
وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما
يكرهه حياء وكرم نفس **وعن** عائشة كان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال
فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون
او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله **وروى** انس
انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان
لا يواجه احدا بما يكرهه فلما خرج قال لو قلتم له يغسل

هذا ويروى عنها قالت عايشة في الصحيح لم يكن النبي
صلى الله عليه فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق
ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل
هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو
ابن العاص وروي عنه انه كان من حيائه لا يثبت بصره
في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره
وعن عايشة رض قالت ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط

فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله
عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة
قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلوة والسلام كان
اجود الناس صدرا ٢ واصدق الناس لهجة والينهم عريكة
واكرمهم عشيرة حدثنا ابو الحسن علي بن المشرف الانماطي
فيما اجازنيه وقراته على غيره قال اخبرنا ابو اسحاق الحبال
نا ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابي نا ابو داود نا هشام
ابو مروان ومحمد بن المثنى نا الوليد بن مسلم نا الاوزاعي سمعت
يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد
ابن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا
وطاء عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان
تركب واما ان تنصرف فانصرفت وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يولفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره
ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي كل جليس نصيبه

٢ الناس ومخبرة

لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة
لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء
بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يوئس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع
بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت
كراعا ويكافي عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا
لشيء تركته لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها ما كان احد
احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه
ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني
رسول الله منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم
ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد
والحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر
المعتذر قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد بيده
فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي
جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة لم ير قط
مادا رجليه بين اصحابه حتى لا يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه
وربما بسط له ثوبه ويوثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس
عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع
على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام

فيقطعه

وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته
وساله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس
تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران او يعظ او يخطب قال
عبد الله بن الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة ياتون رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الما
فما يوتى باناء الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة البارده
يريدون به التبرك فصل واما شفقته ورافته ورحمته
لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين
رووف رحيم وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم
من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله اعطاه اسمين من
اسمايه فقال بالمومنين رووف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر
ابن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراتي
عليه ثنا امام الحرمين ابو علي الطبري قال ثنا عبد الغافر الفارسي
ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا سليمان
ابن الحجاج ثنا ابو الطاهر ثنا ابن وهب نا يونس عن ابن شهاب
قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال
فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة
من النعم ثم مائة قال ابن شهاب ثنا سعيد بن المسيب
ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض
الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاءه
يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي
لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم
بلغ ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم
قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي
من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في
صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء
فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه
فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل
له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا
فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني بها ارفق منكم
واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها
حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها
واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم
عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم
الصدر ومن شفقته على امته عليه الصلوة والسلام
تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهيته اشياء مخافة ان تفرض عليهم
كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء
وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة
لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة
بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته
صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته
او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة
تقربه اليك يوم القيامة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام
فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد
امر ملك الجبال لتامره بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم
الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من

اصلوبهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيا ٥
وروي ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله
امر السما والارض والجبال ان تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل
ان يتوب عليهم قالت عايشه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتحر لنا بالموعظة مخافة السامة علينا
وعن عايشه انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت ترد ده
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق فصل
واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا وحسن العهد وصلة
الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسماعيل بقراتي عليه
ثنا ابو بكر محمد بن محمد ثنا الاعرابي ثنا ابو داود ثنا محمد بن يحيى
ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم
ابن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمسا قال
بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له
بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد
ثلاث فجيت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا
ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اتي بهديه قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت
صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن قالت عايشة
قالت ما غرت على امراة ما غرت على خديجه لما كنت اسمعه يذكرها
وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلايلها واستاذنت عليه
اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن
السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجه
وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل
ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال

صلى

صلى الله عليه وسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باوليا
غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى صلى الله
عليه وسلم بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه
فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة وفد وفد
للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال
له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب
ان اكافيهم ولما جي باخته من الرضاعة الشيما في سبايا هوازن
وتعرفت له بسط لها رداه وقال لها ان احببت اقمت عندي
مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها
فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا
ادآة غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها ردآه[2] فجلست
وعن عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته [2]عمر بن السايب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل
ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت
امه فوضع لها شق ثوبه من الجانب الاخر فجلست عليه ثم اقبلت
اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه
بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته ٥
بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد
وفي حديث خديجه رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه
وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل
الكل وتكسب المعدوم وتكرم الضيف وتعين على نوايب الحق
فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه
ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك
فاختار ان يكون نبيا عبدا [2] انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فقال له اسرافيل
عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم

يوم القيامة واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الو
ليد ابن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة
سبع وخمسمائة قال ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد المؤمن
ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الله بن نمير
عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن
ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا
فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا
وقال انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان
يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة
العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث
عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله
ورسوله وعن انس ان امراة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة
قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي
حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من
حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة
العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه
اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب
قال وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة
ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة
هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما
فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله
راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى
الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا
بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم
ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال

له يا خير البرية ذاك ابراهيم وسياتي الكلام على هذه
الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن
عائشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم
يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب
شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت
ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل
بضاعته من السوق وعن انس ان كانت الامة من اماء
اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه
رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك
فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن
ابي هريرة دخلت السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة
قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب
يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا
رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب
الشيء احق بشيئه ان يحمله **فصل** واما عدله صلى
الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان
صلى الله عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدق
هم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل
نبوته الامين قال ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله
فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين
على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت
عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي
صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته صلى الله عليه وسلم فقالوا

هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم اني والله لامين في السما امين في الارض ثنا
ابو علي الصدفي الحافظ بقراتي عليه ثنا ابو الفضل خيرون ثنا
ابو علي بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المر
وزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا ابو كريب ثنا معوية بن هشام
عن سفيان عن ابي اسحاق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك بما جيت به
فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي غيره لا نكذبك
وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا
جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك
يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل
والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه
ابا سفيان فقال اكنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال اهل؟
قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا او قال
ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم
في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاكم به قلتم ساحر لا والله ما هو
ساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها وفي
حديث علي في وصفه عليه الصلوة والسلام اصدق الناس
لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل قالت عايشة ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن
اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد
قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم
للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج قال

ابن

ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى
الله عليه وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزا جزا لله وجزا لاهله
وجزا لنفسه ثم جزا جزه بينه وبين الناس فكان يستعين
بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي
فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر
وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف
احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي عنه
صلى الله عليه وسلم ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعلمون به
غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت
بسو حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو
ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت
لذلك حتى جيت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست انظر فضرت على اذني فنمت فما ايقظني الا مس
الشمس فرجعت ولم اقض شيا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم
اهم بعد ذلك بسو فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم
وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحا
فظ اجازة وعارضت بكتابه قال ابو العباس الدلاي ثنا ابو ذر الهروي
ثنا ابو عبد الله الوراق ثنا اللولوي ثنا ابو داود ثنا ابو عبد الرحمن
ابن سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد
العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه
وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيا من اطرافه وروى ابو سعيد
الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى
بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر
ابن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصا وهو في حديث قيلة وكان كثير

السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عن من تكلم بغير جميل وكان
ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه
عنده التبسم توقيرا له واقتدا به مجلسه مجلس حلم وحيا وخير وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساوه كانما على
رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو تكفا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب صبب
وفي الحديث هـ الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته
انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله
ابن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم
وعن جابر ابن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته
على اربع على الحلم والحذر والتعديل والتفكر قالت عايشة
كان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرايحة الحسنة و
يستعملها كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم
النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن مروته
صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب
واستعمال خصال الفطرة فصل واما زهده في الد نيا
فقد تقدم الاخبار اثنا هذه السيرة ما يكفي وحسبك من
تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذا
فيرها وترادفت عليه فقدمها ان توفي صلى الله عليه وسلم
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو
ويقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاص
والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا انا
احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا
ابن سفيان ثنا ابو الحسين بن الحجاج ثنا ابو بكر ابن ابي شيبة

ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عايشة
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا
حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين
متواليين ولو شا لاعطاه الله عز وجل ما لا يخطر بالبال وفي
رواية ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى
لقي الله عز وجل وفي رواية اخرى ما ترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث
هـ عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها
صدقة قالت هـ عايشة ولقد مات وما في بيتي شي
ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي ان ربي عرض
علي ان يجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما
واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك
وادعوك واما الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك
وفي حديث ان جبريل نزل عليه فقال ان الله يقريك السلام ٢ اخر
ويقول لك ان تجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك ٢ اتحب
حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل
له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت
وعن عايشة هـ ان كنا ال محمد لنمكث شهرا ما
نستوقد نارا ان هو الا الما وعن عبد الرحمن بن عوف ٢ الا التمر
هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل
بيته من خبز الشعير وعن هـ عايشة وابي امامة وابن
عباس نحوه قال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم ٢ وعن انس
يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشا
قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان

ولا في سكرجة ولا خبز له ولا راى شاة سميطا قط
وعن عايشة انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه
ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بيته مسحا تثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه
له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك
له فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة صلاتي وكان
ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يوثر في جنبه وعن
عايشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يمتلي جوف النبي
صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد
وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا
يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو
شا سال ربه كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت
ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به
من الجوع واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بما
يقوتك فيقول يا عايشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي
العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا
على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني
استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من
شي هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام
بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم فصل
واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى
قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب
قراة مني عليه قال ثنا ابو القاسم الطرابلسي ثنا ابو الحسن
القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله الفربري
ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن

ابن

ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى
الترمذي رفعه الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما
لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا
على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجرون الى الله لوددت اني شجرة
تعضد روي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر
نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما
تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه
عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عايشة كان عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت
كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه
عن ابن عباس وام سلمة وانس وقالت كنت لا تشا ان تراه من
الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نايما الا رايته نايما قال
عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح
البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب
الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان الله
ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك
ثم قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة
مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين
نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وال عمران والنسا والمايدة

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن
الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي
هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه الصلوة والسلام
اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة
وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني
والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة
كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا
غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق
شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة
وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي
الى ربي

فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات
جميع الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم من كمال
الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن
هي هذه الصفة لانها صفات الكمال والتمام البشري
والفضل الجميع لهم صلوات الله وسلامه عليهم اذ رتبتهم
اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله
بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد
قال عليه الصلاة والسلام ان اول زمرة يدخلون الجنة
على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل
واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون
ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رأيت موسى فاذا رجل

ضرب

ضرب رجل اقنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فاذا هو
رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كأنما خرج من ديماس
وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد
ابراهيم به وفي حديث آخر في صفة موسى كأحسن ما انت راء
من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه
وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة
من قومه ويروى في ثروة من قومه اي كثرة ومنعة وروى
الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة
عن انس بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث
هرقل تبعث في انساب قومها وقال تعالى في ايوب انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب
بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك
بيحيى الى الصالحين وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابراهيم وآل عمران الآيتين وقال في نوح انه كان عبدا
شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى
الصالحين وقال اني عبد الله آتاني الكتاب الى ما دمت حيا
وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا
حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث
وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال في وصف
جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير من استأجرت
القوي الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا الى
قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح

والهدى والاجتبا والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم
وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم
اني امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل
انه كان صادق الوعد الايتين وفي موسى انه كان مخلصا
وفي سليمان نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم
واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار
وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة
وفصل الخطاب وقال عنه يوسف اجعلني على خزائن الارض
اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا
وقال ما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا
يسارعون في الخيرات الاية قال سفيان هو الحزن الدائم في
كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدال على
كمالهم وجاء من ذلك من الاحاديث كثير كقوله انما الكريم
ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس وكذلك الانبيا تنام
اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع ما
اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السما تخشعا وتواضعا
لله وكان يطعم الناس لذيذ الاطعمة وياكل خبز الشعير
واوحي اليه يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز
تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر
حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن
الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى ابو هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم خفف على داود القران فكان يامر
بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من

عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر
في السرد وكان يسال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت
مال الله تعالى وقال عليه الصلوة والسلام احب الصلاة
الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود كان ينام
نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما
ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز
الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم
ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السما
حيا منه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت
العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده
اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع
الثنا عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام
لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني
بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما
ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان
يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما
ورد ما مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال
وقال عليه الصلوة والسلام لقد كان الانبيا قبلي
يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطا
اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب
بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق
بسوء وقال مجاهد كان يحيى العشب وكان يبكي من خشية
الله حتى اتخذ الدموع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى
كان يستظل بعريش وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا

اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه
من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفا بعضهم
في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمايل معروفة
مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما غمض في كتب
بعض جملة المورخين والموسرين مما يخالف هذا فصل
فقد اتينا اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضايل
المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له
صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الاثار ما فيه مقنع
والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه
وسلم ممتد تنقطع دون نفاذه الادلاء وبحر علم خصايصه
زاخر لا تكدره الدلاء ولكن اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في
الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل
من كل وحبس من فيض ورايناان نختم هذه الفصول بذكر
حديث الحسن عن ابي هالة لجمعه من شمايله واوصافه
كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضايله ونصله
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين
ابن محمد الحافظ رحمه الله بقراتي عليه سنة ثمان وخمسماية
وحدثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراة عليه
اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن الحسن النيسابوري
والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي و
القاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوحشي قالوا ثنا ابو القاسم
علي بن احمد بن الحسن الخزاعي ثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب
الشاشي ثنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ ثنا
سفيان بن وكيع ثنا الجميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املا
من كتابه قال رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة

ام المومنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة
عن الحسن بن علي بن ابي طالب رحمه الله قال سالت خالي هند بن
ابي هالة قال القاضي ابو علي وقرات على الشيخ ابي طاهر احمد بن
الحسن بن احمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ
الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا انا ابو علي الحسن
ابن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن
مهران الفارسي قراة عليه فاقر به قال انا ابو محمد الحسن
ابن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسن بن
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر
العلوي ثنا اسماعيل بن اسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب وثنا علي بن جعفر بن محمد بن علي
الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه
محمد بن علي بن حسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند
سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيا اتعلق به قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلالا وجهه تلالا القمر ليلة البدر
اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت
عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا
هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ
من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له
نور يعلوه يحسبه من لم يتامله اشم كث اللحية ادعج سهل
الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة
كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق
بادنا متماسكا سواء البطن والصدر فسيح الصدر بعيد
بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول

ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى
ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين
رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سايل الاطراف او قال شاين
الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين
ينبو عنهما الما اذا زال تقلعا ويخطو تكفو ويمشي هونا ذريع
المشية اذا مشي كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت
جميعا خافض الطرف نظره الي الارض اطول من نظره الى السما
جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدا من لقيه بالسلام
قالت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم
في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا
ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيا
لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض
للحق بشي حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها
اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث
اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب
اعرض واشاح واذا فرح غض بصره جل ضحكه التبسم ويفتر
عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها فوجدته قد سبقني اليه
فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم و
شكله فلم يدع منه شيا قال الحسين سالت ابي رضي الله
عنه عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك فكان اذا اوى الي
منزله جزا دخوله ثلاثة اجزا جزا لله تعالى وجزا لاهله
وجزا لنفسه ثم جزا جزاه بينه وبين الناس فيرد ذلك

على

على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيا فكان من سيرته
في جز الامة ايثار اهل الفضل باذنه قسمته على قدر فضلهم
في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوايج
فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسيلته
عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغايب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله
قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره
قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون
الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقها قلت فاخبرني
عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويولفهم ولا ينفرهم
يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم
من ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسال
الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويو
هنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا
لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الي غيره ا
لذين تلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة
واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسالته
عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن
ايطانها واذا انتهى الي القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر
بذلك ويعطي كل جلسايه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم عليه ممن جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه من ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع
الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بين

متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى وصاروا
عنده في الحق سوا مجلسه مجلس حلم وحيا وصبر وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته
وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متوا
ضعون يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون
ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسالته عن سيرته صلى الله
عليه وسلم في جلسايه فقال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا عياب
ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الريا والاكثار وما
لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيبه
ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق
جلساوه كانما على روسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم
حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون
منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم
صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثنا الا من مكافي
ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتها
او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت
كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته
على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي
تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففي ما يبقى
ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان
لا يغضبه شي يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه في
الحسنى ليقتدي به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده

الراي

الراي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع امر الدنيا والاخرة
انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل في تفسير غريب
هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة
وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الر
جل الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد وا
لعقيقة شعر الراس اراد ان تفرقت من ذات نفسها فرقها و
الا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل
ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا لما
قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والا
مهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في
الحديث الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج
المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السايل الانف المرتفع
وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال
شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه
بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الاحاديث
الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة
والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماوها
وقيل رقتها وتحديد فيها كما يوجد في اسنان
الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط
الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم متما
سك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في
الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي
اللحم والمكلثم القصير الذقن وسوا البطن والصدر
اي مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة
فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان

بادي الصدر ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل
اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية
الاخرى وحكاه ابن دريد وضخم الكراديس رؤس العظام
وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد
والمشاش رؤس المناكب والكتد مجمع الكتفين وشثن
الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين
وسائل الاطراف اي طويل الاصابع **وذكر ابن الانباري** انه
روى سائن الاطراف او قال سائل بالنون قال وهو بمعنى
تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بهما واما على
الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه
كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي
واسعها وقيل كنى به عن سعة العطا والجود وخمصان
الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تنال
الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما
ولهذا قال ينبو عنهما الما **وفي** حديث ابي هريرة
خلاف هذا قال فيه اذا وطي بقدمه وطي بكلها ليس
له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه
قالوا سمي المسيح ابن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح
لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالفه قوله شثن القدمين
والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي
وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع
الخطو اي ان مشيته كان يرفع فيه رجليه بسرعة
ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل
ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب
وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة

فيه

بلغ

فيه والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال
وانقبض وحب الغمام البرد **وقوله** فيرد ذلك
بالخاصة على العامة اي يجعل من جزء نفسه ما يوصل
الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه
للخاصة ثم يبدلها في جزء اخر بالعامة ويدخلون
روادا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون
الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون
على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العتيد
والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة **وقوله**
لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ للصلاة موضعا معلوما
وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا
الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه
ولا تؤبن فيه الحرم اي يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته
اي يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد
سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح
وقوله لا يقبل الثنا الا من مكافئ قيل من مقتصد
في ثنايه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من
مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له
ويستغرق يستحقه **وفي حديث اخر** في صفته
منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار

ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه
به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف
انه اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل الناس منزلة

منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى فا
علم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد
اقتصرنا منها صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في ثلاثة فصول

الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته

عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة
ولد ادم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة
اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العد
اذنا بلفظه ثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت
ابي بكر بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو بن عقيل
عن يحيى هو ابن اسماعيل عن يحيى الحماني حدثنا قيس عن
الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق
قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين
ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله
اصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة
والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين
ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله
وجعلناكم شعوبا وقبايل الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على
الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا فذلك
قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا **وعن ابي سلمة** عن ابي هريرة
قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال
وادم بين الروح والجسد **وعن واثلة** ابن الاسقع
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل

بني

بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم **ومن حديث
انس** انا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر **وفي حديث**
ابن عباس انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر **وعن عايشة**
عنه عليه الصلاة والسلام اتاني جبريل فقال قلبت
مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من
محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم **وعن انس**
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري
به فاستصعب عليه فقال له جبريل يا محمد تفعل هذا فما
ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا **وعن ابن
عباس** عنه عليه الصلاة والسلام لما خلق الله
ادم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح
في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل
ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى ارحام صح
اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى
هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه
بقوله من قبلها طبت في الظلال وفي / مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر / انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد / الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم / اذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما / تجول فيها ولست تحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من / خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الا / رض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي / النور وسبل الرشاد نخترق
وفي منتخب الامام ابن الجوزي بعد قوله

طبق وردت نار الخليل متمكنا تجول فيها ولست تحترق
وروى عنه عليه الصلاة والسلام ابو ذر وابن
عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه قال
اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي
نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل
واحلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس
كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة
وقيل لي سل تعطه **وفي رواية اخرى** عرض علي
امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع **وفي رواية
اخرى** بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب
لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل
البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن **وفي
الحديث** الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت
جميع الكلم وبينا انا نايم اذ جي بمفاتيح خزاين الارض فوضعت
في يدي **وفي رواية** عنه وختم بي النبيون **وعن عقبة
ابن عامر** انه قال عليه الصلوة والسلام اني فرط لكم
وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد
اعطيت مفاتيح خزاين الارض واني والله ما اخاف عليكم
ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها **و
عن عبد الله بن عمر** رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت
جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش **وعن
ابن عمر** بعثت بين يدي الساعة **ومن رواية ابن و
هب** انه عليه الصلاة والسلام قال قال الله تعالى سل يا محمد

فقلت

في صحيح
واني

فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما
واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من
بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك
الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السما
وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد من
قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك شفاعتك ولم
اخباها لنبي غيرك **وفي حديث اخر** رواه حذيفة بشرني يعني
ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون
الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني
النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي الغنايم
لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج **وعن
ابي هريرة** عنه عليه الصلاة والسلام ما من نبي من الانبياء الا وقد
اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا
اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تبعا يوم القيامة معنى هذا
عند المحققين بقا معجزته ما بقيت الدنيا وساير معجزات الانبيا ذهبت
للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها
قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيامة **وفيه كلام يطول**
هذه النخبة بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا الخبر باب المعجزات
وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجبا من امته
واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا
منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار **وقال** صلى الله عليه
ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله
والمؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة
من نهار **وعن العرباض سارية** سمعت رسول

واحل

الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم
النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابراهيم وبشارة
عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا
صلى الله عليه وسلم على اهل السما وعلى الانبيا صلوات
الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السما قال ان الله قال لا
هل السما ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال
لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله على الا
نبيا قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الاية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك ك
الا كافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر و
شداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي
ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى
عيسى ورات امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور
بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن
بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني ٢ خلف
رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة
رجال بطست من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا
بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني
ثم استخرجا منه قلبي وبطني فشقاه فاستخرجا
منه علقة سودا فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني
بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم تناول
احدهما شيا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه
فختم به قلبي فامتلا ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر

الآخر بيده

الاخر يده على مفرق صدري فالتامه وفي رواية
ان جبريل عليه السلام قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران
واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم
ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته
فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث
الاخر ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب
لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا
او حكى الحديث اي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة ابو محمد
مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان ادم عند معصيته قال
اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت
محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول
الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب
الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فتلقى ادم من
ربه كلمات وفي رواية الاخرى فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي
الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت
انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك
فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك
ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل
بابي البشر وروي عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة
سياحين عبادتهم كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم
لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي
الحمرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى
السما اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته
تعلى وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز
لهما قال لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب

عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي ٢لا اله الا٤
وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب اني انا
الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه
وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطا
ري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على جنبيه
مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخبار
يون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله محمد
رسول الله وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى منا دى
منا د الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام
وروى ابن قاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت
اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسمه محمد الا نما ورزقوا وعنه
عليه الصلوة والسلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة
وعن عبيد ابن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها
قلب محمد عليه الصلوة والسلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته
وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر
اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم
تفضيلا الحديث فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الا
سرا من المناجات والروية وامامة الانبيا والعروج به الى سدرة
المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى ومن خصايصه عليه الصلاة
والسلام قصة الاسرا وما انطوى عليه من درجات الرفعة مما
نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الاية وقال تعالى الى المسجد الاقصى٢
والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف
بين

بين المسلمين في صحة الاسرا به عليه الصلوة والسلام ان هو
نص القران وجات بتفضيله وشرح عجايبه وخواص نبينا محمد
عليه الصلوة والسلام فيه احاديث كثيرة منتشرة رايتان
نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله
التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس العذري ثنا
ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن
٢ قال٤ الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن
لبراق انس عن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت با
وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى
طرفه قال فركبت حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط
بها الانبيا ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل
اخترت الفطرة ثم عرج بنا السما فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج بنا الى السما الثانية فاستفتح جبريل فقيل من
انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن
زكريا صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى
السما الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف
صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي
مسة ٢السماء ودعا لي بخير قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى الخا

فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب لي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
السما السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة و
اذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما
احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى
ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما
فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف
فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت
الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى
موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك
فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي
وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة
لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم
يعملها لم تكتب عليه فان عملها كتبت سيئة واحدة قال
فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك
فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي
رضي الله عنه جود ثابت رحمه الله تعالى عن انس ما شاء ولم
يات احد باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا
كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء
الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو
صبي قبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى
اليه وذكر قصة الاسرى ولا خلاف انها كانت بعد الوحي

وقال

وقال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا
وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند
ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسرا
كما رواه الناس فجود في ذلك القصتين وفي ان الاسرا
الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه
وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك فازاح كل
اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب
عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة
وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي
فعرج بنا الى السما فذكر القصة وروى قتادة الحديث
بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم
وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء
في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد
وقعت في حديث الاسرا زيادات نذكر منها نكتا
مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول
كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابراهيم
فقال له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى
ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت
سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة
وفي حديث بن مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى
بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من
امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رأيتني

في جماعة من الانبيا فحانت الصلاة فامهم فقال قايل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام وفي
حديث ابي هريرة سار حتى اتى بيت المقدس فنزل
فربط فرسه الى صخرة وصلى مع الملايكة فلما قضيت
الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول
رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال
نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم
الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم وذكر
كلام كل واحد منهم وهو ابراهيم وموسى وعيسى وداود
وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم اثنى
على ربه فقال كلكم اثنى على ربي الحمد لله الذي ارسلني
رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه
تبيان كل شي وجعل امتي خير امة وسطا وجعل امتي هم الاولون
وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي
ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم
محمد ثم ذكر انه عرج به الى السما الدنيا ومن سما الى سما
نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي الى
سدرة المنتهى وهي في السما السادسة اليها ينتهي ما
يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من
فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى
قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع
ابن انس فقيل له هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل واحد
من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من
اصلها انهار من ما غير اسن وانهار من لبن لم يتغير
طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل

مصفي

مصفي وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة
منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيها الملايكة قال
فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال له تبارك وتعالى
له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا
عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت
له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما
وسخرت له واعطيت الجن والانس والشياطين والرياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل
وجعلته يبري الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان
الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك
حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس
كافة وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي
ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك
سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتم سورة البقرة من
كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي رواية
الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات
الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيا من امته
المقحمات وقال ما كذب الفواد ما راى الايتين راى جبريل في
صورته له ستماية جناح وفي حديث شريك انه راى موسى
في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك
بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع احد علي
وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى
بالانبيا ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام
فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطاير فقعد

في واحدة وقعدت في الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين
ولو شئت لمست السما وانا اقلب طرفي ورايت جبريل كانه
جلس لاطيا فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السما
ورايت النور الاعظم واذا دوني الحجاب وفرجه الدر
والياقوت ثم اوحى الله الي ما شا ان يوحي وذكر البزار
هو عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى
ان يعلم رسوله الاذان جاه جبريل بدابة يقال له
البراق فذهب يركبها واستصعب عليه فقال لها
جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد
صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الحجاب
الذي يلي الرحمن تعالى فبينما هو كذلك اذ خرج ملك
من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياجبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق
مكانا وانا هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي
هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من ورا الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله
فيل من ورا الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل
هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على
الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه
فام اهل السما فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر محمد بن
علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
الشرف على اهل السموات والارض وقال القاضي رضي الله
عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق
لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل جلاله
منزه عما يحجبه ان الحجب انما يحيط بمقدر محسوس

وفي



ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم بما
شا وكيف شا ومتى شا كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب وان
خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به
من وراه من ملايكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه
وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث
قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورايه ان هذا
الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على
ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب
في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملايكة وعندها
يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن
فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امر
اما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه مما
هو اعلم به كما قال تعالى واسيل القرية اي اهلها وقوله
فقيل من ورا الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا
الموطن كلام الله ولكن من ورا حجاب كما قال تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب اي وهو لا
يراه حجب بصره عن رويته فان صح القول بان محمدا صلى
الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد
هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله تعالى اعلم
فصل ثم اختلف السلف والعلما هل كان اسراؤه بروحه
وانه رويا منام مع اتفاقهم ان رويا الانبيا حق ووحي
والى هذا ذهب معاوية رضي الله عنه وحكي عن الحسن والمشهور عنه
خلافه واليه اشار محمد بن اسحاق وحجتهم قوله تعالى
وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس او ما حكوا عن عايشة

٢ او جسده على ثلاثة مقالات فذهبت
طايفة الى انه اسرا بالروح وانه
رويا منام ... الانبيا
...

٢ الا فتنة للناس

ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
بينا انا نايم وقول انس وهو نايم في المسجد الحرام وذكر
وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد
الحرام وذهب بعظيم السلف والمسلمين الي انه اسرا بالجسد
وفي اليقظة وهو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر و
انس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة
وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن
جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن
وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل
قول عايشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة
عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقها
والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طايفة كان
الاسرا بالجسد يقظة الي بيت المقدس والي السما
بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الاقصى غاية الاسرا
الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف
النبي صلى الله عليه وسلم محمد به واظهار الكرامة له
بالاسرا اليه قال هولا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد
على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه
الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس
ابن مالك وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك
حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا
قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح
ان شا الله تعالى انه اسرا بالجسد والروح في القصة
كلها وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار

ولا يعدل

٢ وذكر القصة ثم قال في اخرها
فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام ٤

٢ ظهر ٤

ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الي التاويل الا عند الا
ستحالة وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحا
له اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده و
قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما
كان فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار وكذبوه
فيه ولا ارتد به ضعفا من اسلم وافتتنوا به اذ مثل
هذا من المقامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان
خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الي ما ذكر في الحديث
من ذكر صلاته بالانبيا ببيت المقدس في رواية انس وفي السما
على ما روي غيره وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج و
استفتاح السما فيقال ومن معك فيقول محمد ولقايه
الانبيا فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في
فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك او في
بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي
الي السما الي قوله ثم عرج حتى ظهرت بمستوى اسمع
فيه صريف الاقلام وانه وصل الي سدرة المنتهى
وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكره قال ابن عباس
هي رويا عين راها النبي صلى الله عليه وسلم لا رويا
منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر جاني جبريل
فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيا فعدت
لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي
فجرني الي باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق
وعن ام هاني ما اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشا
الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا

له

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا
قال يا ام هانى لقد صليت معكم العشا الاخرة كما رايت بهذا
الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان
كما ترون وهذا بين انه بجسمه وعن ابي بكر هو من رواية شداد بن
اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك
يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله
الى المسجد الاقصى وعن عمر هو رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت
الصخرا فاذا بملك قايم معه انية ثلاث وذكر الحديث وهذه النصر
يحات ظاهرة غير مستحيلة فيحمل على ظاهرها وعن ابي ذر
عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة
فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بما زمزم
الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي ٢ اتيت فانطلقوا ٢ وعن انس
بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة عنه ٣ لقد رايتني في ٣ عليه الصلاة والسلام
وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا لم اثبتها
فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه
ونحو عن جابر وقد روي عن عمر هو بن الخطاب في حديث
الاسرا عنه عليه الصلاة والسلام قال ثم رجعت الى
خديجة وتحولت عن جانبها فصل هو في ابطال
حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي اسرا لانه لا يقال
في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا
عين واسرا بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب
به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون
في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد

التي اريناك الا فتنة للناس الخ

متبلبنته

اختلفوا

اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قصة
الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا ولو
ما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله ثم استيقظت
فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم
وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه
ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله ثم استيقظت
بمعنى اصبحت واستيقظت من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل
عليها ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان في بعضه وقد يكون
قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع
من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملا
الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى
حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه
واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكن اسري بجسده وقلبه حاضر
ورؤيا الانبيا حق تنام اعينهم ولا ينام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الا
شارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شي من المحسوسات
عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبيا ولعله كانت
في هذه الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النائم
من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد الله بن حميد عن همام بينا انا نائم
وربما قال مضطجع وقوله وفي رواية هدبة عنه بينا انا نائم في الحطيم وربما
قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان
فيكون سمي هيئة في النوم لما كانت هيئة النائم غالب وذهب بعضهم الى
ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا
الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من رواية اذ شق
البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلاة والسلام وقبل
النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسرا باجماع كان بعد البعث

وهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه
انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة
عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك
وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة ما فقدت جسده فعائشة
لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجته ولا في سن من يضبط
ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرا متى كان فان الاسرا
كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف
فكانت عائشة في الهجرة بنت ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسرا لخمس قبل
الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست
من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل انها حدثت بذلك عن غيرها
فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث
ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عائشة بالثابت والاحاديث الا
خر اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد
في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم
الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده
لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره
فان قيل ۵ فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل
ما راه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة
عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى
فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله
تعالى ما كذب الفؤاد ما راى لم يوهم القلب العين غير الحقيقة
بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه ۵ ۵ ۵
فصل ۵ واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف
السلف فيها فانكرته عائشة حدثنا ابو الحسين سراج
ابن عبد الملك الحافظ بقراتي عليه قال ثنا ابي وابو عبد الله بن عتاب

الفقيه قالا

الفقيه قالا ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل
الصقلي قال ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا
ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود ابن ادم ثنا وكيع عن
ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة
يا ام المومنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري
مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان
محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار
الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهذا
المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما راى
جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته
في الدنيا جماعة من المحدثين والفقها والمتكلمين وعن
ابن عباس انه راى بعينه وروى عطا عنه راى بقلبه
وعن ابي العالية عنه راى بفواده مرتين وذكر ابن اسحاق
ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يساله هل راى محمد ربه فقال
نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينه روي ذلك عنه
من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة
ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب الفواد ما راى
افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى وقال الما
وردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين
بين موسى ومحمد فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين
وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي
الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب
فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى
ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله
قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى

وراه محمد بقلبه وروي شريك عن ابي ذر في تفسير الاية
قال راي النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي
عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم سيل هل رايت ربك قال رايته بفوادي
ولم اره بعيني وروي ملك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال رايت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد
فيم يختصم الملا الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن
كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي
عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود
وحكى ابن اسحاق ان مروان سال ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال
نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس
بعينه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن
حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برويته في الدنيا بالابصار وقال
سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الاية عن ابن عباس
وعكرمه والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمه راه بقلبه
وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن
ابن عطا في قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للروية وشرح
صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري رضي الله
عنه وجماعة من الصحابة انه راى الله ببصره وعيني راسه
وقال كل اية اوتيها نبي من الانبيا فقد اوتي نبينا مثلها
وخص من بينهم بتفضيل الروية ووقف بعض مشايخنا
في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جايز ان
يكون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والحق الذي
لا امترا فيه ان رويته تعالى في الدنيا جايزة عقلا
وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا

وعن الحسن

سوال

سوال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز
على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسل الا جايزا غير مستحيل
ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه
الا من علمه الله فقال له الله لن تراني اي لن تطيق ولا
تحتمل رويتي ثم ضرب له مثلا بما هو اقوى من بنية
موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رويته
في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل
قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرويته
جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله
لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الاية واذ ليس
يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل
بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الروية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه
الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه
الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التاويلات
لا تقتضي منع الروية ولا استحالتها وكذلك لا حجة
لهم بقوله لن تراني الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه
ولانه ليس على العموم ولان من قال معناها لن تراني
في الدنيا انما هو تاول وايضا فليس فيه نص الامتناع
وانما جات في حق موسى وحيث تتطرق التاويلات وتتسلط
الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك
اي من سوال ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي
في قوله لن تراني ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا
وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف
والمتاخرين ما معناه ان رويته تعالى في الدنيا

٢ اي

ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة
عرضا للافات والفنا فلم يكن لهم قوة على الروية فاذا كان في الاخرة
وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
قووا بها على الروية وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله
قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا
ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه
دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى
من شا من عباده واقدره على حمل اعبا الروية لم يمتنع في حقه وقد
تقدم في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة
الهيئة منحا ها الادراك ما ادركاه وروية ما ثم عنا دان موسى عليه
السلام راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك
خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن
محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقه وقوله
هذا يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه وبروية
الجبل له استدل من قال بروية نبينا محمد له اذ جعله دليلا على الجواز ولا
مزية في الجواز اذ ليس في الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا والقول بانه
راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم والتنازع فيهما
ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك وحديث بن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه
وسلم فيجب العمل باعتقاد متضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية
وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث
ابي ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروي نورا اني اراه وحكى بعض مشايخنا نورانی اراه وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس عكن

[Margin note:] رآياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثنا اجوبته عن الآيتين معا

الا

الاحتجاج بواحد منها على صحة الروية فان كان الصحيح رايت
نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى نورا منعه وحجبه عن روية الله
والى هذا يرجع قوله نوراني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي
للبصر وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث
الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وهو ثم دنى فتدلى والله
قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب وكيف شا لا اله غيره
فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة
فيه ولا مانع قطعي يرده والله تعالى الموفق ه ه ه

فصل واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله
وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى مما تضمنه
الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الوحي الله الى جبريل
الى محمد الى شذوذا منهم وذكر عن جعفر بن محمد الصادق
قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى
هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسرا و
حكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن
عباس في قصة الاسرى عنه عليه الصلاة والسلام
في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدا روعك يا محمد
ادن ادن وفي حديث انس في الاسرا نحو منه
وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي
باذنه ما يشا فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب
كتكليم موسى وبارسال الملايكة كحال جميع الانبياء
واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله
وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهه

مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلبه
النبي دون واسطة وقد ذكر هـ ــ ابو بكر البزار عن
علي في حديث الاسرا ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله
عليه وسلم لكلام الله من الاية فذكر فيه فقال الملك الله
اكبر الله اكبر فقيل لي من ورا الحجاب صدق عبدي انا اكبر
انا اكبر وقال في ساير كلمات الاذان مثل ذلك ويجي الكلام
في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه
وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه
من انبيايه جايز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع
يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى
لموسى كاين حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده
بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في
الحديث في السما السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا
فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام
فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان
من خص من شا بما شا وجعل بعضهم فوق بعض درجات

فصــل هـ هـ واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر
الاية من الدنو والقرب من قوله دنى فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى فاكثر المفسرون ان الدنو والتدلي منقسم
ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من
الاخر او من السدرة المنتهى قال ــــ الرازي وقال
ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا
قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب
وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا من
محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى هـ النقاش

عن الحسن

عن الحسن قال من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى
فقرب منه فاراه من اشا ان يريه من قدرته وعظمته
قال ــ وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف
لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع تد
فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت
كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا
الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى
اليه بما شا فاوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسرا وعن محمد
ابن كعب القرظي هو محمد دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين هـ وقال جعفر
ابن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد
والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ــ ايضا انقطعت
الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما
اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه
وزال عن قلبه الشك والارتياب قال ــ القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله والى الله
فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس
بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة
عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه
وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول ٢ وإجلال
في قوله ينزل ربنا الى سما الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان
قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه
من الحق تعالى تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد
وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عايدا الى الله لا الى جبريل على
هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والا
شراق على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة

الرغبة وقضا المطالب واظهار التحفي وابانة المنزلة والرتبة من الله له وما يتاول فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا واتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول

قال احدثناء

فصـــــل ﻫ في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة ﻫ

حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا ابو محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق الارض عنه ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال اطمع ان

شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول

الكون

اكون اعظم الانبيا اجرا يوم القيامة وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ثم قال انهما في امتي يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبيا اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن اشار عليه الصلاة والسلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجا الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين كذلك في الدنيا ولذلك يلجا الى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعا وقال انس ايلة وصنعا وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة ابن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة ابن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وجبلة ابن سويد وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي

اي ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي تلجا الناس اليه

وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء بنت ابي بكر
وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم ه
فصل في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار
الصحيحة واختص ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم على السنة
المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب
وغيره عن كريمة بنت احمد ثنا ابو الهيثم ثنا حسين
ابن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضي ابو الوليد ثنا عبد
ابن احمد ثنا ابو الهيثم ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا
محمد بن اسماعيل انا عبد الله بن محمد ثنا ابو عامر ثنا فليح انا
ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت
ابا بكر وفي حديث آخر ه وان صاحبكم خليل الله
ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم
خليلا وعن ابن عباس ه قال جلس ناس من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا
منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم
عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال ~~قد سمعت~~ آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم
فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا
وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح
الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا
حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا
فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي
فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر

وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو
مكتوب في التوراة انت خليل الرحمن قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل
الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلاف
وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة
الاستصفاء وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة
الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير
المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها
ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم
يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في
النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك
الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار
وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ~~التي توجب الاختصاص~~
ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع
وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بكم
فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة
اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما
قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح
ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد
عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف
حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والا
ضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الا
ختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما

وما حاصل بواطنهما من اسرار الهيبة ومكنون غيوبه ومعرفته
اولاصطفا استصفايه لهما واستصفا قلوبهما عمن سواه
حتى لم يخالهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع
قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام
ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام
واختلف العلما ارباب القلوب فيهما ارفع درجة الخلة او درجة
المحبة فجعلهما بعضهم سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل
الا حبيبا لكن خص ابراهيم بالخلة ومحمد بالمحبة وبعضهم قال
درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة
لفاطمة وابنيهما واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة
ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة
الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا
في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة
المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته
لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه
حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي
ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع
الى الله والاعراض عن غير الله وصفا القلب لله واخلاص الحركات لله
كما قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران برضاه يرضى وبسخطه
يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي ... واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه الصلاة
والسلام بما دلت عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول
من الامة وكفى بقوله تعالى ان كنتم تحبون الله الاية حكى اهل التفسير
ان هذه الاية نزلت لما قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الاية قل
اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم
على التولي عنه بقوله فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشارا
الى تفصيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر طرفا منه بهدى
الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض والحبيب يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى
وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر الاية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدا
بالبشارة قبل السوال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي
حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك
اعطي بلا سوال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقام
من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

يوم الدين؟
في الاخرين؟
ويطهركم تطهيرا؟
قل كل؟

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود وقال الله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني
فيما كتب به الي بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي
ثنا ابو زيد وابو حميد قالا ثنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا اسمعيل بن ابان ثنا ابو الاحوص عن ادم بن علي قال سمعت
ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا

حتى كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا
حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك
يوم يبعثه الله المقام المحمود اوعن ابي هريرة سئل عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا فقال هي الشفاعة وروي كعب بن مالك عنه عليه الصلاة
والسلام يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتي على تل
ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يوذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول
فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال
فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود
الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه الصلوة والسلام
انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه
الاولون والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو
المقام المحمود الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو
قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث وعن ابي موسى
عنه عليه الصلاة والسلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي
الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها
للمتقين ولكنها للمؤمنين الخطائين وعن ابي هريرة قلت يا رسول
الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان
لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك
بعضهم دما بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم
فسالت الله يوتيني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل وقال
حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه

فينادي

فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك
والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين
يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك
تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام
المحمود الذي ذكره الله وقال ابن عباس اذا دخل اهل ٢ اهل ٤
النار النار والجنة الجنة فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر
زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم
ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة
فيسألون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر
حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن
ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد
الفقير سمعت بمقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من
يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج
الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود
الذي وعده وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل
حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه الصلاة
والسلام يجمع الاولين والاخرين يوم القيامة فيهتمون
او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن
طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة
وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا
يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون
ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك
الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته
واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا

عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول
ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت
نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون
نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك
الله عبدا شكورا الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك
فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس
ويذكر خطيته التي اصاب سواله ربه بغير علم وفي
رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله
فياتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل
الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان
ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات
كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم
الله وفي رواية فانه عبدا اتاه الله التوراة وكلمه وقربه
نجيا قال فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيته
التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى
فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست لها
ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فياتوني فاقول انا لها فانطلق فاستاذن على ربي فيوذن
لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش
فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد
لا اقدر عليها الا ان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله
على محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي

قال في

قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك سل
تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي
يا رب امتي فيقول ادخل امتك من لا حساب عليه من
الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى
ذلك من الابواب ولم يذكر رواية انس هذا الفصل
وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك
واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي
فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة
او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع
الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال
فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر
مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى
ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة
فيقال لي ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع واسل
تعطه فاقول يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال
ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي
لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة
عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب
ما بقي في النار الا من حبسه القران اي وجب عليه الخلود
وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي مسعود وحذيفة
مثله قال فياتون محمدا فيوذن له وتاتي الامانة والرحم
فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن
حذيفة فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون
اولهم كالبرق ثم كالريح والطير واشد الرجال ونبيكم صلى
الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجوز الناس

وذكر اخرهم جواز الحديث وفي رواية ابي هريرة فلكون
فاكون انا من يجيز وعن ابن عباس عنه عليه الصلوة والسلام
يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه
قايما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان
اصنع لك بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم
بر حمته ومنهم من يدخل الجنة من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال
قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار يقول يا محمد ما تركت لغضب
ربك في امتك من نقمة من طريق زياد النميري عن انس ان رسول النميري
الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر
ومعي لوا الحمد يوم القيامة وانا اول من تفتح له الجنة ولا
فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح
لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما
تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر
وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثارات شفاعته
عليه الصلاة والسلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات
الى اخرها من يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ
منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب
فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط
ويحاسب الناس كما جا في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة
وهذا الحديث عن ابي هريرة اتقن فيشفع في تعجيل من
لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم
يشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته فيمن وجب
عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما يقتضيه الا

الاحاديث

قوله اهل العلم وفي بعض النسخ اعلم اهل ... الصحول

الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس
هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل
دعوة نبي يدعو بها واختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة
قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم
والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم
منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعا بها بين الرجا والخوف وضمنت لهم
اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال
محمد بن زياد وابو صالح عن ابي في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها
في امته فاستجيب وانا اريد ان ادخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة
وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي
دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية
ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته
اشيا من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه
الدعوة ليوم القيامة وخاتمة المحن وعظيم السوال والرغبة جزاه الله
احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه
ابو الوليد هشام بن احمد بقراتي عليه قالا ثنا ابو علي الغساني
ثنا النمري ثنا ابو عبد المومن ثنا ابو بكر التمار ثنا
ابن داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن
ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن
عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى
الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة

لاتنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوان اكون انا هو فمن سال
الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعه وفي حديث اخر عن ابي
هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب
اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم
ضرب بيده الى طينة فاستخرج مسكا وعن عايشة وعبد الله بن
عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماوه احلى من العسل
وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه
حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس
هـ وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه اياه قال
سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه وعن
حذيفة فيما ذكر عليه الصلوة والسلام عن ربه واعطاني
الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لولو ترابهن المسك
وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج
والخدم فصل فان قلت اذ انقرر من دليل القران وصحيح الاثر
واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبيا فما معنى الاحاديث
الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي حدثنا
السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت
ابا العاليه يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس
ابن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني الله ما ينبغي لعبد
الحديث وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى
موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبيا وفي رواية لا تخيروني على موسى
فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى
وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب[2] الاخر
٢ وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير ابن متى وفي حديث
فجاه رجل فقال يا خير البرية فقال ذلك ابراهيم فاعلم ان للعلما في
هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل
ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وا ن
من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا
افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف
عن التفضيل الوجه الثاني انه قال صلى الله عليه وسلم على طر يق
التواضع ونفي التكبر والتعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه
الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يودي الى نقص بعضهم او الغض منه
لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع
في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة
اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون اذ ذهب مغاضبا فظن
ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك الو جه
الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبيا فيها على
حد واحد اذ هي شي واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة
في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زايدة عليها ولذلك منهم
رسل ومنهم اولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن
اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من
كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلا ثة

احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون
امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واطهر وفضله
في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه
من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف
ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ
الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام
من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه
وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم
على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون
انا راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة
والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة
النبوة افضل واعلا وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا
ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله فقد بان لك الغرض
وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل في اسمائه عليه الصلوة والسلام
وما تضمنته من فضيلته ثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه
ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد
ابن وضاح ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد
وانا احمد وانا الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا
واحمد فمن خصايصه له تعالى ان ضمن اسماه ثناه وطوى
اثناه ذكر عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة
الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم
اجل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين

ومحمد

وبعثه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك
العرصات بصفة الحمد وانه ويبعثه ربه هناك مقاما
محمودا كما واعده به يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته
لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه الصلوة والسلام
ما لم يعط غيره وسما امته في كتب انبيائه بالحامدين
فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب
خصائصه وبدائع اياته فن اخر هو ان الله جل اسمه حمى
ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب
وبشرت به الانبيا فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد
غيره ولا يدعى به مدعي قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف
القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب
ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه الصلاة والسلام
وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليلون من
العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث
يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن
مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع
ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال
اول من سمي محمدا ابن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمدي
الازدي ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد
له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان
له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة
وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه ملك
امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى
ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي

محشر بسيا من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي اي على زمني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم
النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره على الانبياء وقيل معنى
على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهدا
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لي خمسة
اسما قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم
من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه الصلوة
والسلام لي عشرة اسما وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد
قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد
حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسما
فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول
الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم
جامع الكامل كذا وجدته ولم اروه واري ان صوابه قثم بالثا
كما ذكرناه بعد عن الحربي وهذا اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا
في كتب الانبيا قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا
مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروي النقاش
عنه عليه الصلوة والسلام لي في القران سبعة اسما محمد واحمد ويس
وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى الاشعري
انه عليه الصلاة والسلام سمي لنا نفسه اسما فقال
انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروي المرحمة
والرحمة وكل صحيح ان شا الله ومعنى المقفي معنى العاقب واما
نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ار
سلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمومنين روف
رحيم وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم و

٢ اي الصحيح انا العاقب الذي
ليس بعده نبي ٤
مكرر

٣ وقيل معنا على قدمي
اي يحشر الناس
بمشاهدتي
كما قال

وقيل على قدمي على سابقتي
قال الله تعالى لهم قدم
صدق عند ربهم
وقيل على قدمي
اي على قدمي
وحولي
الجم

اي مجتمعون
الي في القيام
وقيل قد
يسمى قدمي
سنتي لي
ومعنى قوله ٤

تواصوا

تواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه
الصلوة والسلام ربه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم
ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها
عليه الصلوة والسلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب
من عباده الرحما وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السما واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به
من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى
حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة
ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه عليه الصلوة والسلام انه
قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قالوا والقثوم الجامع
للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه الصلوة والسلام وسماته
في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر
والنذير والمبشر والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين
والروف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله
والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي
الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منه
ما في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله
واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي
القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع
والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق
والهادي وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر
المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة
والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب
التاج والمعراج واللوا والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب
الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين

ومن اسمايه المتوكل في الكتب والمختار ومقيم السنة وروح الحق وهو
معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق
بين الحق والباطل ومن اسمايه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب
طيب وحطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب الخاتم الذي
ختم الانبيا والحاتم احسن الانبيا خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح
والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى
صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب
من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق
الذي كان يمسكه عليه الصلوة والسلام وهو الان عند الخلفا واما الهراوة
التي وصف بها فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة
في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج
فالمراد به العمامة ولم تكن حينيذ الا للعرب والعمايم تيجان العرب واوصافه
والقابه وسماته في الكتب كثيره وفيما ذكرناه منها مقنع ان شا الله تعالى

فصل في تشريف الله تعالى له مما سمايه من اسمايه الحسنى
ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما
احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك
مضمونها وامتزاجه بعذب ومعناها لكن لم يشرح الله الصدر
للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا
عند الخوض في الفصل الذي قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله
فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيايه بكرامات جعلها عليهم من
اسمايه كتسميته اسحاق واسماعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك
الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم
بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيايه بعدة كثيرة
اجتمع لنا جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكرا ذلم نجد من جمع منها
فوق اسمين ولا من تفرغ لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا

الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا الان ويفتح غلقه
فمن اسمايه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه
وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا
واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود
واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا
حسان بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش
محمود وهذا محمد ومن اسمايه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى
متقارب وسماه في كتابه العزيز بذلك فقال بالمؤمنين
رؤوف رحيم ومن اسمايه الحق المبين ومعنى الحق الموجود
والمتحقق امره وكذلك المبين اي البين امره والاهيته
بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم
ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في
كتابه تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل
اني انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القران ومعناه هنا
ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول
والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه
به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمايه
النور ومعناه ذو النور اي خالقه او منور السموات
والارض بالانوار ومنور قلوب المومنين بالهداية
وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
قيل محمد وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا سمي
بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب

المومنين والعارفين بمحابه ومن اسمايه تعالى الشهيد
ومعناه العلم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه
شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون
الرسول شهيدا عليكم وقال ويكون الرسول عليكم شهيد
وهو بمعنى الاول ومن اسمايه تعالى الكريم ومعناه الكثير
الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمايه
تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل
جبريل وقال عليه الصلوة والسلام انا اكرم ولد ادم ومعاني الاسم صحيحة
في حقه عليه الصلاة والسلام ومن اسمايه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان
الذي كل شي دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق
عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن اسماعيل وسيلد عظيما لامة
عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمايه تعالى الجبار ومعناه المصلح
وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب
داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك ومعناه
شرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه
وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهر اعدايه او
لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القران
جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن
اسمايه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشي العالم بحقيقته و
قيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسيل به خبيرا قال القاضي
بكر بن العلا المامور بالسوال غير النبي صلى الله عليه وسلم
والمسيول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السايل
النبي والمسيول الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه
عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم
معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمايه الفاتح

ومعناه

ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمتعلق من
امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصايرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا
بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح اي ان تستنصروا
فقد جاكم الفتح وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر وسمى الله تعالى
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسرا الطويل من
رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من
قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله
عليه وسلم في ثنايه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح ابواب
الرحمة على امته والفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله والناصر
للحق والمبتدي بهداية الامة او المبتدي المقدم في الانبيا والخاتم لهم
كما قال عليه الصلوة والسلام كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم
في البعث ومن اسمايه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب
على العمل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه
السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم
ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك
لقوله لان شكرتم لازيدنكم ومن اسمايه تعالى العليم والعلام وعالم
الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية
منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
ومن اسمايه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشيا قبل
وجودها والباقي بعد فنايها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال
عليه الصلوة والسلام كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في
البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم

ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار
الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون
السابقون وقوله انا اول من تنشق عنه الارض واول من
يدخل الجنة واول شافع مشفع وهو خاتم النبيين واخر
الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمايه تعالى القوى
وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى
بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل
ومن اسمايه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا
ايضا
اسمه عليه الصلوة والسلام بالصادق والمصدوق ومن اسمايه
عليه
تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى
انما وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلوة والسلام
انا ولي كل مومن وقال تعالى النبي اولى بالمومنين وقال
عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن
اسمايه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف بهذا
نبيه في القران والتوراة وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال
فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد ساله عن قوله خذ
العفو قال ان تعفو عن من ظلمك وقال في التوراة والانجيل
في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو
ويصفح ومن اسمايه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله
لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعا قال الله تعالى
والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط
مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير
طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال
تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا
الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك

لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وبمعنى الدلالة
يطلق على غيره تعالى ومن اسمايه تعالى المومن المهيمن
وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المومن في حقه تعالى المصدق و
عده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المومنين
ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المومن عباده في الدنيا من
ظلمه والمومنين في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الا
مين
مصغر منه فقلبت الهمزة ها وقد قيل ان قولهم في الدعا امين
اسم من اسما الله تعالى ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن ۲
۲ بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن
ومومن وقد سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان صلى الله
عليه وسلم يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس
في شعره مهيمنا في قوله   ثم احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق   قيل المراد يا ايها المهيمن قاله
القتيبي والامام القاسم القشيري وقال تعالى يومن بالله ويومن
للمومنين اي يصدق وقال امنة لاصحابي هذا بمعنى المومن و
من اسمايه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من
سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه
الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبيا في اسمايه عليه
الصلاة والسلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب
كما قال ويزكيهم وقال يخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقد
سا
بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن ا
سمايه
تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب والذي لا نظير له او المعز لغيره
وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد
وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة

منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته
ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمايه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين
طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسما محمد صلى الله عليه
وسلم وكرم **فصل** قال القاضي ابو الفضل
وفقه الله وها انا اذكر ذيلها هذا الفصل ونختم
هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم
سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه النمو
وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريايه وملكوته
وحسن اسمايه وعلى صفاته لا يشبه شيا من مخلوقاته ولا يشبه به
وان ما جا مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه
بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما
ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين
اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو منزه عن ذلك بل لم يزل
بصفاته واسمايه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء ولله در من قال من
العلما العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات
ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي
مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة
الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون
لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة
قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم
وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده
بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسايل التوحيد و
كيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او رفع نقص
حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر و
فعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا

ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم
الامام ابو المعالي الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه
ومن اطمان الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف
بالعجز عن دركه حقيقة فهو موحد وما احسن قول ذي النون
المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج
وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما
تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق
فالفصل الاخر تفسير لقوله ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله
لا يسال عما يفعل وهم يسالون والثالث تفسير لقوله انما
قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك
على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرق الضلالة و
الغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى

على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات
القاضي ابو الفضل حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا
لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب
البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن
اليها ونذكر شروط المعجزات والتحدي وحده وفساد قول من
ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين
لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته
ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق
والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا
اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة واذا تامل المتامل
المنصف ما قدمناه من جميل اثره وجميل سيرته وبراعة

علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله
وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمترِ في صحة نبوته وصدق
دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فرو
عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله
ابن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
جيته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس
بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال ثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي
عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا
عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن
عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن ابي اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث
وعن ابي رمثة التميمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي
ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان
ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله
نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغني قاموس البحر هات يدك ابايعك
وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر
انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم
شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا
من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل
لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير
رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا جاء
رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا
التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى

ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه
الى الاسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الامي
انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول
تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز
الوعد واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا
كما قال ابن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان
منظره ينبيك بالخبر وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي
والرسالة وبعده في معجزة القران وما فيه من برهان ودلالة
فصل اعلم ان الله تعالى جل اسمه قادر على خلق
المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع
تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته
في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة
تبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة
مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من
دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على
صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به
لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي
فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا
كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده
مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز
ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل
تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه

نبيه فيكون نبي منبا فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما
بعثه الله به ومبينا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل
ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض
معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة
فالوصفان في حقه موتلفان واما الرسل فهو المرسل ولم يات
فعول بمعنى مفعل في اللغه الا نادرا وارساله امر الله له بالا
بلاغ الى من ارسل اليه واشتقاقه من التابع ومنه قولهم جا الناس ارسالا اذ اتبع بعضهم بعضا فكانه الزم
تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه **واختلف العلماء** هل الر
سول والنبي بمعنى او بمعنيين فقيل هما سوا واصله من الا
نبا وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من رسول
ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا ر
سول الانبيا وقيل هما مفترقان من وجه ان قد اجتمعا في
النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة والر
فعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للر
سول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية
نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيا واحدا لما حسن تكرار
هما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي
ليس يرسل الى احد **وقد ذهب بعضهم** الى ان الرسول من من
جا بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ
والانذار والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول
نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل ادم واخرهم محمد صلى
الله عليه وسلم **وفي حديث ابي ذر** عنه ان الانبيا مائة
الف واربعة وعشرون الف نبي **وذكر** ان الرسل منهم ثلا
ثلثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم فقد بان لك معنى النبوة والر
سالة وليسا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات

خلا

خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما
الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه
من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا
تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة
يد الكاتب ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله
تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل
كتب ومنه قولهم الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر
والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قولهم وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله
واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في
قلبه دون واسطه **فصل** اعلم ان معنى تسميتنا
ما جات به الانبيا معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها
هم وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم
نمنى عنه فعل الله دل على صدق نبيهم كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم
عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج
عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا الموتى وقلب
العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الا
صابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فكون
في ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي
بمثله تعجيز له **واعلم** ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا
صلى الله عليه وسلم ودلايل نبوته وبراهين صدقه من هذين
نا النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا
ن كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران
لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي قد تحدى

بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك
الكوثر فكل اية اوايات منه بعددها او قدرها معجز ثم فيها نفسها
معجزات على ما سنفصله فيما انطوي عليه من المعجزات ثم معجزا ته
صلى الله عليه وسلم قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا
متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف لمجي النبي به وظهوره من
قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كان
نكاره وجود محمد في الدنيا وانما جا اعتراض الجاحدين في الحجة
فهو في نفسه وجميع ما تضمنته من معجز معلوم ضرورة و
وجه اعجازه معلوم ضرورة نظرا كما سنشرحه قال بعض
ايمتنا ويجري هذا المجري على الجملة انه قد جري على يديه عليه
الصلوة والسلام ايات وخارق عادات ان لم يبلغ واحد منها
معينا القطع فيبلغه جميعا فلا مرية في جريان معانيها على
يديه ولا يختلف كافر ولا مومن انه جرت على يديه عجايب وانما خلاف
المعاند في كونها من قبل الله وان ذلك بمثله قوله صدقت فقد
علم وقوع مثله هذا ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما
يعلم جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم الحنف لاتفاق الاخبار الواردة
عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وعلم هذا وان
كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني
مالم يبلغ الضرورة والقطع وهو علي نوعين نوع مشتهر منتشر
رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والا
خبار كنبع الما من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به
الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره
لكنه اذا جمع الي مثله اتفقا في المعني واجتمعا على الاتيان بالمعجز
كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا
من هذه الايات الماثورة عنه عليه الصلوة والسلام معلومة
بها

بالقطع اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن وجوده
ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجا برفع احتماله صحيح الاخبار
من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عري الدين ولا
يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفا المومنين
بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعرا سخفه وكذلك قصة نبع الما و
تكثير الطعام والعدد الكثير عن الجما الغفير عن العدد الكثير من الصحا بة
ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عن من حدث بها من جلة الصحابة
واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي
غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع
العساكر ولم يوثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه
ولا انكار عما ذكر عنهم انهم راوه كما راه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق
اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة على كذب وليس هناك
رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف
لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشيا رواها من السنن
والسير وحروف القران وخطا بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما
هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا
فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الا
زمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول
ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية
واعلام نبينا هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان
الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها
وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفا نورها الا قوة وقبولا وللطا
عن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباوه بما
يكون وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطا عليه
وقد قال به من ايمتنا القاضي والاستاد ابو بكر وغيرهما رحمهم الله

وما عندى اوجب قول القايل ان هذه القصص المشهورة من باب
خبر الواحد الاقلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك
من المعارف والا فمن اعتدى بطريق النقل وطالع الاحديث والسير
لم يرتب فى صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذى ذكرناه ولا
يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر
الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار
الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن
وصفها وهكذا يعلم الفقها من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر
النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراة ام القران فى الصلاة للمنفرد والا
مام ولجزا النية فى اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعى يرى
تجديد النية كل ليلة والاقتصار فى المسح على بعض الراس وان مذ
هبهما القصاص فى القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية فى الوضوء
واشتراط الولى فى النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما وهذه المسايل
وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من مذا
هبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات فزيد الكلام
فيها بيانا ان شاء الله تعالى

فصل فى اعجاز القران

اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الا
عجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها فى ربعة وجوه اولها
حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته
الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان
الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم
واتوا من ذرابة اللسان ما لم يوت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد
الالباب جعل الله ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة ياتون منه
على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها فى المقا مات
وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقد

حون

حون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك
بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللال فيخدعون
الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجر
ون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا
ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ومنهم الحضرى ذو
البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل
والتصرف فى القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا
البابين لهما فى البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح
الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة
ملك قيادهم قد حروا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب
من ابوابها وعلوا صرحها لبلوغ اسبابها فقالوا فى الخطير والمهين
وتفننوا فى الغث والسمين وتقاولوا فى القل والكثير وتساجلوا
فى النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته
وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على
كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت
فى الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه
واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه
وهم افسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا واشهر فى الخطابة رجالا
واكثر فى السجع والشعر ارتجالا واوسع فى الغريب واللغة مقالا
بلغتهم التى بها يتحاورون ومنازعتهم التى عليها يتناضلون
صارخا بهم فى كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس
الملا اجمعين قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون
الله ان كنتم صادقين وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة

من مثله الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القران الاية وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وذلك ان المفتري اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار
اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل
فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثاني
فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم
اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط
اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم
وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون
عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغترا بالا
فترا وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير
الاولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة
مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعا مع العجز كقولهم لو نشا
لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا
ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم
وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا لم يخف عن اهل الميز
منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبر [ين]
واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد
ابن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والا
حسان الاية قال والله ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان
اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو
عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت
لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرا فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا
فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وروي

ان

ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على
راسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم
ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا
اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم
من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الاية وحكي الاصمعي انه سمع كلام جار [ية]
فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او بعد هذا فصاحة بعد قول
الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة
بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفردا [نه]
غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القران
من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه
عليه الصلوة والسلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان [به]
معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها
علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين
باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة
وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذ
نا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الا
ي بل اكثر القران حققت ما بينه من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها
وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاوم كلمها وان تحت
كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواجر ملئت الدوا
وين من بعضها استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها
ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السالفة التي يضعف

وعادة الفصاحة عندها الكلام ويذهب ماالبيان ايهما تامله
من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه
كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلف العبارات ت
عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان
صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا تنفر النفوس
من ترديدها ولا معادات لمعادها **فصل** الوجه الثاني
من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام
العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جا عليه ووقفت مقاطع ايه
وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا ا
ستطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت
دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر
او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم
الوليد بن المغيرة وقرا عليه القران رق فجاءه ابو جهل منكرا
عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه
الذي يقول شيا من هذا وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند
حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا
يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو
بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون
ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشا
عر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قالوا وما هو بساحر
ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيا
الا وا عرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين
المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا
وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله في الوليد ذرني

ومن

ومن خلقت وحيدا الايات **وقال عتبة** ابن ربيعة حين سمع القران
يا قوم قد علمتم اني ما تركت شيا الا وقد علمته وقراته وقلته
والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو با
لشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة **وقال النضر** ابن الحارث نحوه
وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله
ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا
في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجا الى ابي ذر بخبر
النبي قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر ساحر كاهن لقد
سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم
يلتئم وما على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذ بون
والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين
الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نو ع
اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منها اذ كل واحد
خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب
غير واحد من ايمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان
الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الا
سماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله
ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه
ادب هذه الساعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ايمة هذه
السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول مما جمع في قوة جزالته وفصا حه
الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان
يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق
عليها كاحيا الموتى وقلب العصا وتسبيح **وذهب** الشيخ ابو
الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله
عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه

وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت وا
قامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم
بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج
بمجي بشر مثلهم بشي ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع
دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء و
القتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباية
الضيم بحيث لا يوثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا
فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع
بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام
وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده وا
ستنفد ما عنده في اخفا ظهوره واطفا نوره فما جلوا في ذلك خبية
من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد
وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان
نوعان من اعجازه **فصل** الوجه الثالث من الاعجاز ما
انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه
الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين وقوله
وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد
الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله اذا
جا نصر الله الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع
سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه الصلوة والسلام
وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المومنين في الارض
ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب
كما قال عليه الصلوة والسلام زويت لي الارض فاريت مشارقها و
مغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل

محكمه

محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحو
لهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسماية عام فما قدروا على اطفا شي
من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف
من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر
وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله هو الذي ارسل
رسوله بالهدى الاية وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم
الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود
ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون ما لا يبدون لك
الاية وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب الاية من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره
واعتقده المومنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم
وتودون غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين
ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك بان الله كفاه
اياهم وكان المستهزءون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويوذونه فهلكوا
وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من راى ضره
وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل**
الوجه الرابع ما انباه من اخبار القرون السالفة والامم البايدة والشرايع
الداثرة مما لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب
الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه
وياتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان
مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا
ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا
جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب يسلونه صلى الله عليه وسلم
عن هذا فينزل عليه من القران ما يتلو عليهم منه ذكر القصص

الانبيا وبد الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى
مما صدقه فيه العلما بها فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقي
معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة
عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم
بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سوالهم له عليه الصلوة والسلام و
تعنيفهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم و
اعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سوالهم عن الروح وذي
القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرايل على نفسه
وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم
ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التورات ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من
امورهم التي نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك
انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف
بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وبني اخطب وغيرهم ومن باهت
في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي
الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع
فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يوثر ان
واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من
صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما
تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين

فصل

هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه
البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم في
قضايا واعلامهم انهم لا يفعلوها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله
لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو
اسحاق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة ودلالة صحة الرسالة لانه

قال

قال لهم فتمنوا الموت اعلمهم انهم لن يتمنونه ابدا فلم يتمنه واحد منهم
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل
منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم
ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم
وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت
بذلك معجزته وابانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه
لا يوجد منهم جماعة ولا احد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم
عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد امتحانه منهم
وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران
وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية
فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد
علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله
قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية ادخل في باب الاخبار
عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

فصل

ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه
والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على
المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما
قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه الصلوة
والسلام ان القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما
المومن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه
هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا
هذا القران على جبل الآية ويدل على ان هذا شي خص به انه يعتري
من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ

فوقف يبكي فقيل له مما بكيت قال للسجع والنظم وهذه الروعة قد اعترت
جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها اول وهلة وآمن به ومنهم
من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء
ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية
وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة ابن ربيعة انه كلم النبي صلى
الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلى عليهم حم فصلت الى
قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فم النبي
صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم يقرا وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره
معتمد عليها حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى اهله حتى
اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي
بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن
رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي
ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرا وقيل يا ارض ض
ابلعي ماءك فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما
هو من كلام البشر وكان افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال البليغ
الاندلسي في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الا
خلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني
خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة فصل
ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا
مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال ل
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات
الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقران العزيز

الي

الباهر آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة
عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة
ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم
اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم
كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته
ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح
المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند صلد بل المأثور عن كل من رام ذلك
القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل وقد
عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان
قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده
يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة
مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس
بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث
اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها
ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على
كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل ولا
يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته
الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد ومنها
جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه
وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من
علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة
سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة
مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان
يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها اول مرة ولو كان فيهما آلهة

الا الله لقصدنا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم
واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا
في الكتاب من شيء وانزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس
في هذا القران من كل مثل وقال عليه الصلوة والسلام ان الله انزل القران ن
امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم
ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجايبه
هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به
فلج ومن اقسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط
مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله ومن حكم بغيره قصمه الله
هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفا
النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ
فيستعتب ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن
مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين والاخرين
وفي الحديث قال الله لمحمد عليه الصلوة والسلام اني منزل عليك
تورية حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع
العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقران ن
فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القران يقص على
بني اسرايل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى ي
الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في
الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه
بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن رصفه
وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فا
لتالي له ان يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة
منفردة ومنها انه جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في
حيز المنثور ولان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع

في

في الاذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهوا اليه اسرع و
منها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى
ولقد يسرنا القران للذكر وساير الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف
الجما على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان في
اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزايه بعضا وحسن ايتلاف انواعها
والتيام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب
الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة الى امر ونهي
وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب
وترهيب الى غير ذلك من فوايد دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح
اذا اعترض مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت
ألفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم
وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وتعجبهم
مما اتى به والخبر عن اجتماع ملايهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم
وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم
واهلاك الله لهم ووعيد هولاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه
وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص
الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت
عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران
الى وجوه كثيرة ذكرها الايمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب
بلاغته فلا نحب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون
البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه
وفضايله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي
ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القران وعجايبه
التي لا تنقضي وبالله التوفيق فصل في انشقاق القمر وحبس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر خبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي
واعراض الكفرة عن آياته واجمع المفسرون واهل السنة على
وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه ثنا القاضي
سراج بن عبد الله ثنا الاصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا
البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش
عن ابراهيم عن معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة
دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية
مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي طرق الاعمش بمنى
ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رايت الجبل بين
فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار
قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر
فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسألوا من ياتيكم من بلد
آخر هل راوا هذا فاتوا فسالوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك
وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر
فابعثوا الى اهل الآفاق حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل
الآفاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر
ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهولاء الاربعة عن
عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم
انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية
ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم
آية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس
قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه

فنزلت اقتربت الساعة ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن
ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن
عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن
السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث
صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان
هذا لم يخف على اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة اذ هو شيء
ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو
نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا
به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على
قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار
الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوف
في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية
وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم
وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون
وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء
شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف
القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث
الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام
تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج
الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر
حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت
يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان
في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء
فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض

رض

وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما
ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي
لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات
النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته
عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر
واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال
يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون
وقد ولى النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم قال المؤلف رحمه الله

اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع
الماء من اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس
وجابر وابن مسعود حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه
رحمه الله بقراتي عليه قال ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم
خاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا يحيى ثنا مالك عن
اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضوا منه
قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضوا من عند اخرهم
ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال
كم كنتم قال زهاء ثلثماية وفي رواية عنه بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد
وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن
ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح
عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس

معنا

معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه
فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين
اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن
ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى
الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا
ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه
فقلت كم كنتم قال لو كنا ماية الف لكفانا كنا خمس عشر ماية وروي مثله
عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة
ابن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث
بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه
وسلم فغمزه وتكلم بشي لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها
فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة
وفرق بين اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء
يفور من اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر الناس
بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا
يا رسول الله ما غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها
وغمسها في انا وجعل الناس يجيئون ويتوضون ويقومون قال الترمذي
وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع
الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شي الى تكذيبه
لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل
فهولا قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد

من الناس عليهم ما أخذ ثوابه عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار له
كقصد بني جمعهم لهم **فصل** ومما يشبه هذا من معجزاته
تفجير الماء ببركته وابتعاثه بمسه ودعوته مما روى مالك في الموطا
عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض
بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في
شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه وا
عاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحاق فانخرق
من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت
بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا **وفي حديث البراء**
وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة
وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق
ودعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركا
بهم وفي غير هذين الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب
في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب فروي الناس
حتى ضربوا بعطن **وعن ابي قتادة** وذكر ان الناس شكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة
فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى
رووا وملؤوا كل اناء فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين
وسبعين وروى مثله عمران بن حصين الطبري حديث ابي قتادة على
غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم
ممدا لاهل موتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه
معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون
الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلثمائة **وفي كتاب**
مسلم انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون

الميضاة مطهرة يتوضا منها مفعلة من الوضوء هـ

لها نبأ وذكر نحوه **ومن ذلك** حديث عمران بن حصين حين اصاب
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه
رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير
عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم
اعاد الماء في المزادتين ثم فتح عزاليهما وامر الناس فملؤوا اسقيتهم حتى
لم يدعوا شيئا الا ملؤوه قال عمران وتخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء
ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم ند ر
ان لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله **وعن**
سلمة ابن الاكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء
رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضانا كلنا ندغفقه د
غفقة اربع عشرة مائة **وفي حديث عمر رضي الله عنه** في جيش العسرة وذكر ما
اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فر غب
ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما
حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ثم لم تجاوز العسكر **وعن عمرو**
ابن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رد يفة
بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب
كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه **فصل** ومن
معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي
رحمه الله **ثنا** العذري **ثنا** المرازي **ثنا** ابن سفيان **ثنا** مسلم بن
الحجاج **ثنا** سلمة بن شبيب **ثنا** الحسن بن اعين **ثنا** معقل عن ابي الزبير
عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه
شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم **ومن**

الغنقة العطش الشديد هـ

ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم
ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جا بها انس تحت يده اى
ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شا الله ان يقول وحديث جابر في
اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير
وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط
كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في
العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن مينا وايمن وفي حديث
ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من
الطعام زهاما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين
من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان
مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى
اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة
بن جندب اتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون
حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين
ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي
سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة
من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في
القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن
ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة ابن الاكوع وابي هريرة وعمر بن
الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه
وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجا الرجل بالحثية من الطعام
وفوق ذلك واعلاهم الذى اتى بالصاع من التمر فجعله على نطع
قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي
في الجيش وعا الا ملوه وبقي منه وعن ابي هريرة امرني النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى
جمعتهم فوضعت بين ايديهم صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي
مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم
مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى
رووا وبقي كانه لم يشرب وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو قوما سماهم وكل من لقيت حتى
امتلا البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا
فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون جون
وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفي رواية
اخرى في هذه الرواية ومثلها ان القوم كانوا زهاء ثلثمائة و
انهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كان اكثر ام
حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي ان فاطمة
صنعت قدر الغداء ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم
ليتغدى معها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه
السلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها
ما شا الله وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال ل
يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكا ن
قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن
رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربع بماية
راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته
وقد كان بذل لغرما ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين
كفاف دينهم فجاه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها
بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرما ابيه وفضل

مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان اهل
الغرق يهود فعجبوا من ذلك **وقال ابو هريرة** اصاب الناس
مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت
نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة
فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم
عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به فاكلت
منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان
قتل عثمان فانتهب مني فذهب **وفي رواية** فقد حملت من ذلك كذا
وكذا اوسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية غزوة تبوك وان التمر كان
بضع عشرة تمرة **ومثله** ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع
فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي
اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق
ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه
وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه
الآخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح
وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب
حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله
وسمى وشرب الفضلة **وفي حديث خالد بن عبد العزى**
انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح
الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه
الشاة وجعل فضلها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا
ذكره الدولابي وفي نكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى
عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها
قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها
حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن و

واطعمن

اطعمن من غشيكن **وفي حديث** انس تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا و
فلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم
كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملئوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام
فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال ارفع
فما ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث
هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا
الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين
ثم من لا يعد بعدهم وكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهورة لا تحدث
عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر

فصل في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم

واجابتها دعوته **حدثنا** احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما
اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي
ثنا احمد بن عمران الاخنسي **ثنا** ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن
مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فد نا منه اعرابي
فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال
تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال
من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي
فادعها فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه
فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها **وعن
بريدة** سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة
رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها

فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا
رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها
في ذلك فاستوت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان
يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي اقبل يديك ورجليك له
وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا
بشجرتين بشاطي الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى احدهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله
فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل
بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله
فالتئما وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت
حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي
فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا
من كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة
فقال براسه هكذا يمينا وشمالا وعن اسامة ابن زيد نحوه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجا رة
قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن
حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لى
قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن
وقال يعلى بن سيابة كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير
وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشا تين

تين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيا بة
ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة
او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت
النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد
عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة
تعال يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال
قال المؤلف رحمه الله فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى
ابن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغير هم
قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم التابعين
اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن
فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا
وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت
على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك
حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا
اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من
وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه
قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل
قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله
عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان
النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فا تت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه الصلاة
والسلام شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا
مخافة عليه فاوحى اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها

يأتك ففعل فجا يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما
ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت انه لا مخافة على
عن عمر وقال فيه ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه **وعن بريدة**
الله صلى الله عليه وسلم قال للاعرابي أرأيت ان دعوت هذه العذق من
هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال
ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع وبعضها لا

خبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور ومنتشر والخبر به متواتر
خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر
بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن عباس وسهل
ابن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم
يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال
جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر **سمعنا**
لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره
وفي رواية سهل وكثر بكا الناس لما راوا به وفي رواية المطلب حتى تصدع
وانشق حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكا لما فقد من الذكر وزاد غيره
والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن
تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفي بعض
الروايات فدفن تحت منبره او جعل في السقف **وفي حديث ابي** فكان اذا
صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان
عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا **وذكر الاسفرايني** ان النبي صلى الله
عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه

فقال

فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت
فيه تنبت لك عروقها ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك
في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع
ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى
فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار
دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا بكا وقال يا عباد الله
الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم
احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله
ابن حفص وايمن وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه
عن انس بن مالك الحسن بن ثابت واسحاق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع
وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار عن ابن
عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل عن سهل بن
سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل
بن ابي عن ابيه **قال** القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه
خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين
ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب
والله المثبت على الصواب **فصل** ومثل هذا في سائر الجمادات
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي **ثنا** القاضي ابو عبد الله
محمد بن المرابط **ثنا** المهلب ابو القاسم **ثنا** ابو الحسن القابسي **ثنا** المروزي
ثنا الفربري **ثنا** البخاري **ثنا** محمد بن المثنى **ثنا** ابو احمد الزبيري
ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا
نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود
كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه
وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصا فسبحن في يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن

ثم في ايدينا فاسبحن وروى مثله ابو ذر وذلك انهن في كف عمر وعثمان
وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال
السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه الصلوة
والسلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن
عايشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا
شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله
لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له
اذا اشتمل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا
لهم بالستر من النار كستره اياهم بملائه فامنت اسكفة الباب
وحوايط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي
صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب
فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي صلى الله
عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد
فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في
حرا وزاد ومعه علي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق
او شهيد والخبر في حرا ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من
اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي
حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد
روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله
فاني اخاف ان يقتلوك وانت على ظهري فيعذبني الله فقال حرا الي
يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا
على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا — الجبار
انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن
ابن عباس كان حول البيت ستون وثلثماية صنم مثبتة

الا رجل

الا رجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها
ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع
لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث
ابن مسعود وقال وجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدي الباطل
وما يعيد ومن ذلك حديث مع الراهب في ابتدا امره اذ خرج تاجرا — مع عمه
وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة
للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق شجر ولا حجر
الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله
عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه
الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه

فصل في الايات في ضروب الحيوانات حدثنا

سراج بن عبد الملك ثنا ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي يونس
ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا
ابو العلا احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو عن
مجاهد عن عايشة قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجي ولم يذهب واذا خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم جا وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جا اعرابي قد صاد ضبا فقال — ل
من هذا قالوا نبي الله قال واللات والعزى لا امنت بك او يومن هذا الضب
وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين فسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك — بك
يا زين من وافى يوم القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي

الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمة وفي النار عقابه قال فمن
انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب
من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذيب المشهورة عن
ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذيب لشاة منها فاخذها
الراعي منه فاقعى الذيب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي
قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام انس فقال الذيب الا اخبرك باعجب
من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه فحدثهم
ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروي حديث الذيب
عن ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذيب انت واقفا على
غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له
ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا
الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذيب انا ارعاها
حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه
ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح
للذيب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة
والمحدث بها ومكلم الذيب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان
صاحب القصة ايضا وسبب سلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد
روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب
وصفوان بن امية مع ذيب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم
فانصرف الذيب فعجبا من ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك محمد بن
عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان
واللات والعزى لان ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي
مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس

لما تعجب من كلام ضماد وصنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى
الله عليه وسلم فاذا طاير يسقط فقال يا عباس اتعجب من كلام
ضماد ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب سلامه وعن جابر
ابن عبد الله عن رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو
على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول كيف
بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيودي عنك امانتك ويردها
الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس
دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايط انصاري وابو بكر وعمر ورجل
من انصار وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود
لك منها الحديث وعن ابي هريرة رضي دخل النبي صلى الله عليه وسلم
حايطا فجا بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر
ابن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد
الحايط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السما
والارض شي الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن
عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر اخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه
وسلم سالهم عن شانه فاخبروا انهم ارادوا ذبحه وفي رواية
النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة
العلف وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه
في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضبا
وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسه
ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم
لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت
ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي

صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وعن انس
وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم
فسترته فامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر وان
العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له وراوا ذلك قالوا
لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم
عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدا وعن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه
وسلم في صحرا فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت
صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى
اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت
ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله لك حاجة
قال تطلق هذه الظبية قال فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من
تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية
اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فري فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت
انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبيه حتى اقامني
على الطريق واخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة لقوم من عبد القيس
بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها
بعد وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه
بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه
وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم
الباب براسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات

تردى

تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت
عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها
وانها ملكه وفي حديث العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ما وهم زهاء
ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم
قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن
نافع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذ يجي
جابها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه الصلوة والسلام
وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى
نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله
عليه وسلم ولما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد
فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه اليهم والحديث
في هذا الباب كثير وقد جينا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه
في كتب الايمة

فصل في احياء الموتى وكلامهم

وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا ابو الوليد
هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد و
القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قا لوا
ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زيد عبد الرحمن
ابن يحيى ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا وهب
ابن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة
ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال
ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما

حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت
ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس
وفيه فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا
نقتلها قال لا وكذلك عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها
ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها
وفي رواية الحسن ان فخذها يكلمني انها مسمومة وفي روايه
ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحاق
وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت
اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي
مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري
وحكى ابن اسحاق ان كان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن
سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية
التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وجابر
وانس وفي رواية ابن عباس انه دفعها الى اولياء بشر بن البراء فقتلوها
وكذلك قد اختلف في قتله الذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت
عندنا وروي عنه انه قتله وروى البزار عن ابي سعيد فذكر مثله
الا انه قال في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم
يضر منا احدا قال القاضي ابو الفضل وقد خرج حديث الشاة
المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف
ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله
في الشاة الميتة او الحجر او الشجرة وحروف واصوات يحدثها الله فيها
ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب
الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله واخرون ذهبوا الى

ايجاد

ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكي نصا عن شيخنا
ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود
الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة
بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد
من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا
للجبائي من بين ساير متكلمي الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي
والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه
النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع
والذراع وقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا
والة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم
به اكد من التهمم بتسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير
والرواية شيا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه
لا ضرورة اليه في النطق والموفق الله وروى وكيع رفعه
عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي
بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة
ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم
بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة
بمكة في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه
الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبيني باذن الله تعالى
فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك
قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما
وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس ان شابا من الانصار
توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات

ابنى فقلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم هاجرت اليك والى نبيك
رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحمل على هذه المصيبة فما برحنا
ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا **وروي** عن عبد الله
ابن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس
وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول
الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا
هو ميت **وذكر** عن النعمان بن بشير ان زيد بن حارثة خر ميتا فى
بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه العشاء والنسا
يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد
رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك فى الكتاب الاول
ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات

اخبرنا ابو الحسن على بن مشرف فيما اجازنيه وقراته على غير واحد **ثنا**
ابو اسحاق الحبال **ثنا** محمد بن النحاس **ثنا** ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام
عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق **ثنا** ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة
وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اندقت عن قوسه يومئذ
واصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى
قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها
ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم فى وجه ابي قتادة فى يوم
ذي قرد قال فما ضرب على ولا قاح **ورواه النسائي** عن عثمان بن حنيف
ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق

فتو

ابنا ذر في السهم لا تنتزعه فنزعه وقد دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

فتوضا ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى اسالك واتوجه اليك بنبيي محمد
نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم
شفعه فى قال فرجع وقد كشف الله عن بصره **وروي** ان ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا
يرى ان قد هزى به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله
وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه
فكان لا يبصر بهما شيا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين ورمى
كلثوم بن الحصين يوم احد فى نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه فبرا وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل فى
عين على يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق
سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها
السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى ساق على بن الحكم
يوم الخندق اذ انكسرت فبرى مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى على
ابن ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه
ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد
معوذ بن عفرا فجا يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان حبيب بن
اساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه
حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
واتته امراة من خثعم معها صبي به بلا لا يتكلم فاتى بما فمضمض فاه وغسل يديه
ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل
عقول الناس **وعن ابن عباس** جات امراة بابن لها به جنون فمسح صدره
فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فسعى وانكفات القدر على ذراع

محمد بن خاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه
وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف
وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالت جارية طعاما وهو ياكل فناولها
من بين يديه وكانت قليلة الحيا فقالت انما اريد من الذي في فيك
فناولها ما في فيه ولم يكن يسال شيا فيمنعه فلما استقر في جوفها
القي عليها من الحيا ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حيا منها

فصل في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة
بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جا في حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل ادركت
الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراتي عليه ثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن ابي الاسود
ثنا حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن انس قال قالت امي يا رسول الله
خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته
ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي
وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا
اصاب من رخا العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي
لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاوه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة
قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه
ومات فحفر الذهب من تركته بالفوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت
كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن
لانه طلقها في مرضه على نيف ثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد

صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين
عبدا وتصدق مرة بالف بعير وفيها سبع مائة بعير وردت عليه تحمل
من كل شي فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا لمعاوية
بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله
دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا
اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسالة
عمر الدعا فدعا فجات سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا
في الاستسقا فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال للنابغة
لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن ويروى فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس

وقال لقتادة بن ملحان افلح وجهك اللهم بارك في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة

اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان القران و
دعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيا الا ربح
فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة
ابن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا
وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي
مثل هذا لغرقدة ايضا ونَدَّت له ناقة فدعا فجا بها اعصار ريح
حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى الحر
والقر فكان يلبس في الشتا ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتا ولا
يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته الا يجيعها قالت فما
جعت بعد وساله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له
فسطع نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثله فتحول الى
طرف سوطه فكان يضي في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على
مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على
كسرى حين مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم يبق له باقية ولا بقية

لفارس رياسه في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع الصلاة ان
يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك فقال
لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي
لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال لامراة كلك
الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود
من دعايه على قريش حين وضعوا السلاح على رقبته وهو ساجد
مع الفرث والدم وسماهم فقال لقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا
على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله
عليه وسلم اي لا يراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا
على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته
مرات فالقوه بين سدين ورضموا عليه بالحجارة والصد جانب الوادي
وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم
فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان
كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة وهذا
الباب اكثر من ان يحاط به

فصل في كراماته وبركاته

وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد ثنا ابو ذر الهروي
اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغيرهما قالوا ثنا ابو الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم
القربري ثنا البخاري ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة عن انس
ابن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره بطيئا
فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا وكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر
وكان قد اعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس

لجعيل

لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها
نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن
عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة
خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء
بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها
وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المامون قال
كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم
وكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه
الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح
الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب
من فضل وضوئه في بير قباء فما نزفت بعد وبزق في بير كانت في
دار انس فلم يكن في المدينة اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل له
اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي
بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن
والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك
عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها
النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها
فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم وليس عندهم
شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيمهم ادمها حتى عصرتها
وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل
بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان الفارسي حين كاتبه مواليه
على ثلثماية ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية
من ذهب فقام عليه الصلوة والسلام وغرسها له بيده الا واحدة
غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله

عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب ... فاطعم ... من
عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة
من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها المواليه اربعين
اوقيه وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل
سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق
شرب اولها وشربت اخرها فما برحت احد شبعها اذا جعت ورِيّها ها
اذا عطشت وبردها اذا ظميت واعطى قتادة بن النعمان وصلى
معه العشا في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه
سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت
بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق
فاضاله العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى
خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين
انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة
ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى
ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون
ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل
فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوايل باللبن الكثير
كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة
مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز
عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ما وبعد
اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب
وزبده في فمه حتى رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد
وبرّك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصص عن
غير واحد منهم السايب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة

ابن فرقد

ابن فرقد طيب يغلب طيب نسايه لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عايذ بن
عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح
على راسه ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما
مرت يده عليه من شعر اسود وكان يدعى الاغر وروي مثل هذه الحكاية
لعمرو ابن ثعلبة الجهني ومسح وجه اخر فما زال على وجهه نور
ومسح قتادة بن ملحان ثم كان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه
كما ينظر في المراة ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه
وكان حنظلة يوتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها
فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب
الورم ونضح في وجه زينب ام سلمة نضحة من ما فما يعرف
كان في وجه امراة من الجمال ما بها ومسح على راس صبي به عاهة
فبرا واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين
فبرءوا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بما من عين مج فيها
ففعل فبرا وعن طاوس لم يوت النبي صلى الله عليه وسلم
باحد به مس فصك في صدره الا ذهب لمس المجنون ومج في دلو
من بير ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من
تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه
فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان
فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيا
بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله
ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم
ومسح راس عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له
بالبركة ففرع طولا وتماما فصل ومن ذلك ما اطلع عليه صلى الله عليه وسلم
من الغيوب

وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره و
هذه المعجزة من معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على
التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب الامام
ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراته على غيره قال ابو بكر ثنا
ابو علي التستري ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللولوي ثنا ابو داود عثمان
ابن ابي شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما
ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه
ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولاء وانه ليكون منه الشي فاعرفه فاذكره
كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما
ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثماية فصا عدا
الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته قال ابو ذر لقد تركنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما يحرك طاير جناحيه في السما الا ذكر لنا منه
علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه
وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة
لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد
يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويوتون من زهرتها وقسمتهم
كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتون والاختلاف والاهوا
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة وانهم ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى
وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة
ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يوميذ وانهم اذا مشوا المطيطا
وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم
على

على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس
حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده
وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس
وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب
من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المشارق
والمغارب ما بين ارض الهند اقصى الشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة
وراه وذلك ما لم يملكه امة من الامم ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال
مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم السا عة
ذهب ابن المديني وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب
كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية ابي امامة لا تزال
طايفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله
وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية
وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد
العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي
وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها
الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يد خل
اولياوه الجنة واعداوه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة
وطايفة ممن ينتسب اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو
يقرا المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه
وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله والفتن تظهر ما دام عمر حيا
بمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوب على بعض ازواجه وانه يقتل حو لها
قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عايشة عند خروجها الى البصرة
وان عمارا تقتله الفية الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله
ابن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى

مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال فى جماعة فيهم ابو هريرة
وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا فى النار فكان بعضهم
يسال عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار
فاحترق فيها وقال الخلافة فى قريش ولن يزال هذا الامر فى قريش
ما اقام الدين وقال يكون فى ثقيف كذاب ومبير فراوها الحجاج
والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر
بالردة وبان الخلافة بعده ثلاثون ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون
ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروة وفسادا فى الامة واخبر بشان
اويس القرني وبامرا يوخرون الصلوة عن وقتها وسيكون فى امته
ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة (فى حديث) حديث اخر ثلاثون رجالا كذابا
اخرهم الرجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك
ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى
يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرنى ثم الذين يلو (نهم)
ثم ياتي بعد ذلك يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون
وينذرون ولا يوفون وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه و
قال هلاك امتي على اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شيت
سميتهم لكم بنو فلان ولخبر بظهور القدرية والرفضة وسب اخر
هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام فلم
يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر
بشان الخوارج وصفتهم والمخدع الذى فيهم وان سيماهم التحليق وترى
رعا الغنم روس الناس والعراة الحفاة يتباورون فى البنيان وان تلد الامة ربتها
وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي
يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكن البصرة وانهم يغزون فى
البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال
من ابنا فرس وهاجت ريح فى غزاته فقال هاجت لموت منافق

فلما

* ملكا فكانت كذلك عدة الحسن بن علي قال ان هذا الامر بدا نبوة ورحمة ثم صح

فلما رجعوا الى المدينة وجد واذلك وقال القوم من جلسا به ضرس
احدكم فى النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعنى ماتوا
وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذى غل خرزا من
خرز اليهود فوجدت فى رحله وبالذى الشملة وحيث هي ناقته
حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب
الى اهل مكة وبقصة عمير مع صفوان حين سارع وشارط على
قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جا عمير النبي صلى الله
عليه وسلم قاصد القتله واطلعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذى تركه
عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيرى
وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف وفى عقبة بن
ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال
فى الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فيتين ولسعد
لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون واخبر
بقتل اهل موتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت
النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا
من كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر
باذر بنظر بك كما كان ووجد فى المسجد نايما فقال كيف بك اذا
خرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه
وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا
اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل
الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيه مضجعه وقال فى
زيد بن صوحان يسبقه من عضو الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد
وقال فى الذين كانوا معه على حرا اثبت فانما عليك نبي وصديق
وشهيد فقتل علي عثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال

لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما اتى بهما عمر البسهما
اياه وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى
مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزاين الأرض
يخسف بها يعنى بغداد وقال سيكون فى هذه الامة رجل يقال له
الواحد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة
حتى تقتتل فيئتان دعواهما واحدة وقال لعمر فى سهيل بن عمرو عسى
ان تقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابى بكر يوم
بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم
وقوى بصايرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر
فوجدت هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته كما قال عليه الصلاة
والسلام الى ما اخبر به جلساه من اسرارهم وبواطنهم واطلع
عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفى المومنين حتى
ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من
يخبره لاخبرته حجارة البطحا واعلامه بصفة السحر الذى سحر به
لبيد بن الاعصم وكونه فى مشط ومشاطة فى جف طلع نخلة ذكر وانه
القى فى بير ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه
قريشا باكل الارضة ما فى صحيفتهم التى تظاهروا بها على بنى هاشم
وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم الله فوجدوها كما
قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسرا
ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التى مر عليها فى طريقه
ليله واقدارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من
الحوادث التى تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله
عمران بيت المقدس خراب يثرب خروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن
اشراط الساعة وايات حلولها وذكر النشر والحشر والاخبار الابرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل ان

يكون

يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزا وحده وفيما اشرنا اليه من نكت
الاحاديث التى ذكرناها كفاية واكثرها فى الصحيح وعند الايمة

فصل فى عصمة الله عز وجل

له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من
الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف
عبده قيل بكاف عبده اعداه المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك
المستهزيين وقال وان يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا القاضى
الشهيد ابو على الصدفى قراتى عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد
بن عبد الله المعافرى قالا ثنا ابو الحسين الصيرفى ثنا ابو يعلى
البغدادى ثنا ابو على السنجى ثنا ابو العباس المروزى ثنا ابو عيسى
الحافظ ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحارث بن عبيد
عن سعيد الجريرى عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية
والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى عز وجل
وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له
اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابى فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك
منى فقال الله فارعدت يد الاعرابى فاخترط وسقط سيفه وضرب
براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة
فى الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله عليه وسلم
عفا عنه فرجع الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس وقد حكيت
مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضا
حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روى انه وقع له
مثلها فى غزوة غطفان بذى امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم

فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له
ابن ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل
دفع صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك
واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم
قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن
الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم
يشعر به الا وهو قايم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت
فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الخه
رجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد الرحمن بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي
جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاوها كثيبا
اهيل وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب
وذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت
عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم
فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى
الله عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا
انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فلما افقنا حتى قضى
صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجينا حتى اذا رايناه
جات الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدنا انا وابو جهم
ابن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجينا
منزله فسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فحل بوجى يخم

من باقه

من باقه فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال النجا وفرا هاربين فكانت
من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة في الكفاية التامة
عندما اخفت قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من
بيته فقام على روسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب
على روسهم وخلصوا منهم وحمايته عن روسهم في الغار بما
هيا الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى
قال امية بن خلف حين قالوا ادخل الغار ما اربكم فيه وعليه من
نسج العنكبوت ما اري انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار
فقالت قريش لو كان احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع
سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه
وفي ابي بكر الجعايل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه
دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوايم فرسه فخر عنها
واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراة
النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال
للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا ٥
فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوايمها
مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم
واما ناكتب ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى
الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس
كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا
ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر
اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة
ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى
رجع الى موضعه وجاه فيما ذكر ابن اسحاق وغيره ابو جهل بصخرة
وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه

الى عنقه واقبل يرجع القهقري الى خلفه ثم ساله ان يدعو له فعل
فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لان راه ليدمغنه
فسالوه عن شانه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رايت مثله قط
هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا
لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم
ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع
قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه واذكر ان هاتين القصتين نزلت
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان الايتين ومن ذلك ما ذكره
ابن اسحاق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى
جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى
فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم
بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج
الى بني النضير يستعين في عقد الكلام بين الديتين قتيل عمرو بن امية
فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما
سالتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم
على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه
يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث
عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لان راى محمدا يصلي ليطان رقبته
فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه
ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسيل فقال لما دنوت
منه اشرفت على خندق مملو نارا كدت اهوي فيه وابصرت
هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملات الارض فقال عليه الصلاة
والسلام تلك الملايكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل
على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة

ان شيبة

فيروي ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة
قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس
اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع
الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس النبي صلى الله عليه وسلم
فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو
احب الخلق الي وقال لي ادن مني فقاتل فتقدمت امامه اضرب
بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه
وعن فضالة بن عمرو اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح
وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما
كنت تحدث به نفسك قلت لا شي فضحك واستغفر لي ووضع يده
على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله احب شي
الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن
قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل
عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيا فلما كلمه في ذلك قال
له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن
عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به
وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على عصمه الله
تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر
كما قال عليه الصلوة والسلام

فصل ومن معجزاته الباهرة

ما جمعه الله من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح
الدنيا والدين ومعرفته من امور شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده
ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبيا والرسل والجبابرة والقرون
الماضية من لدن ادم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم
وسرد انبايهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارايهم والمعرفة

بعددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة
كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها
واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتوا على لغات العرب وغريب
الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحاتها والحفظ لايامها وامثالها
وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال
الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد
الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن
الاخلاق ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل
سليم شيا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا
اسمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه
ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبايث وصان به انفسهم واعراضهم منهم
من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا الى الاحتوا على
ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبادة والفرايض والحساب
والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه
الصلاة والسلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه الصلوة
والسلام الرويا لاول عابر وهي على رجل طاير وقوله الرويا ثلاث رويا
حق ورويا يحدث بها الرجل نفسه ورويا تحزين من الشيطان وقوله
اذا تقارب الزمان لم تكد رويا المومن يكذب وقوله اصل كل دا البردة
وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق
اليها واردة وان كان حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه
الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي
وخير الحجامة يوم سبعة عشر وتسع عشر واحدى وعشرين وفي العود
الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطن الى
قوله فان كان لابد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد
سيل عن سبا ارجل هو او امراة او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن
منهم

منهم ستة وتشام اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة
وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سواله عما اختلفوا فيه
من ذلك وقوله حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها
والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله في الحوض
زواياه سوا وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك
ماية وخمسون على اللسان والف وخمسماية في الميزان وقوله
وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب
قبلة ولعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم
على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب
ولكنه اوتي علم كل شي حتى وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن
تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق
ابن عباس وقوله في الحديث الاخر الذي يروى عن معاوية انه
كان يكتب بين يديه عليه الصلاة والسلام فقال له
الق الدواة وحرف القلم واقم اليا وفرق السين ولا تعور الميم
وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح
الرواية انه عليه الصلاة والسلام كتب فلا يبعد ان
يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراة واما علمه عليه
الصلوة والسلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها
فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك
حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنة سنه وهي
حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها
وقوله في الحديث ابي هريرة اشكوت درد اي وجع
البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا
يقوم به ولا ببعضه الا من دارس لدرس والعكوف

على الكتب ومناقشة اهله عمره وهو كما قال الله امي لم يكتب
ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه الامور ولا عرف هو
قبل بشي منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من
كتاب ولا تخطه بيمينك الاية انما كانت غاية معارف
العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما
حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه
ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله
عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشي مما ذكرناه ولا
وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير
الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة
العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او
العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير
من القران وظهور ما لا يتعد من الايات واما الرومي
فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف
في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس
عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحا اللد والخطبا
اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل
عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن
نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر
او يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم
يكلمونه مدا اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شي من مثل
ما كان يجي به محمد عليه الصلوة والسلام وهل عرف
واحد منهم بمعرفة شي من ذلك وما منع العدو حينيذ
على كثرة عدده ودوب طلبه وقوة حسده ان يجلس

الى

الى هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما
يحتج به على شنعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق
به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا
كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل
بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنايهم ثم لم يخرج عن
بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعلم القليل
فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه عشيرته لم يغب عنهم
ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم
او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجي ما اتى به معجز القران قاطعا لكل
عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر **فصل** ومن
خصايصه عليه الصلوة والسلام وكراماته وباهر اياته انباره مع
الملايكة والجن وامداد الله له بالملايكة وطاعة الجن له ورويته كثير
من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبريل الاية وقال واذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم فثبتوا
الذين امنوا وقال واذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم الاية
وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية حد
ثنا سفيان بن القاضي الفقيه سماعي عليه ثنا ابو الليث
السمرقندي ثنا عبد الغافر الفارسي ابو احمد الجلودي ثنا ابو سفيان
ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان
الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه
الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستماية جناح والخبر في محادثته
مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملايكة وما شاهده من كثرتهم
وعظم صور بعضهم ليلة الاسرا مشهور وقد راهم بحضرته جماعة
من اصحابه في مواطن مختلفة وراى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة
رجل يساله عن الاسلام والايمان وراى ابن عباس واسامة وغيرهما

عنده جبريل في صورة دحية وراى سعد على يمينه ويساره
جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله
عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم
بدر وبعضهم راى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون
الضارب وراى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا
بيضا على خيل بلق بين السما والارض ما يقوم لها شي
وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وراى النبي
النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في الكعبة فخر مغشيا
عليه وراى عبد الله بن مسعود الجن وسمع كلامهم وشبههم
برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد
اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست
بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب انه قال بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم
اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال
نغمة الجن من انت قال انا هامة ابن الهيم ابن لاقس بن ابليس فذكر انه لقي
نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا
من القران وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له
ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له تلك العزى وقال عليه الصلوة والسلام ان شيطانا انفلت البارحة
ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى
سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي
سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الاية فرده الله
خاسيا وهذا باب واسع فصل ومن دلائل نبوته صلى الله
عليه وسلم

وعلامة رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار
وعلما اهل الكتب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم
الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين من
شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لوي وسفيان بن مجاشع وقس
ابن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من
امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلما
يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من
ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه عيسى الحافظ عبد بن حميد
مسلم بن ابراهيم الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله
ابن شقيق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس
انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي
فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الا
عرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت
الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب
هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه
وقال جيتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها
جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضا حاجته فتبعه رجل
من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان
بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى
قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول
وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت
لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت

يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي اراد
ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو
قايم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب
من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده
رجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان النبي صلى الله عليه
وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شا فليخذلني
وذكر عبد الرحمن بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي
جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاوها كثيبا اهيل
وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب بما ذكرها
الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم
ترا الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت
يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت
بهذا الفهر فاه وعن الحكم ابن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا
مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا
ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا
وبينه وعن عمر تواعدنا انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرا
الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد
عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه
العبرة المشهورة في الكفاية التامة عندما اخفت قريش واجتمعت
على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على روسهم وقد ضرب

الله

الله على ابصارهم وذر التراب على روسهم وخلص منهم وحمايته
عن رويتهم في الغار بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت
الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار
ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد
محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان احد لما
كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم
حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعايل فانذر
به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى
الله عليه وسلم فساخت قوايم فرسه فخر عنها بالازلام فخرج له
ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراة النبي صلى الله عليه وسلم وهو
لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم
اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها
فزجرها فنهضت ولقوايمها مثل الدخان فناداهم بالا مان
فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتب ابن فهيرة وقيل
ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان
لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما هاهنا
وقيل بل قال لهما ارى كما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في
نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا
عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب
على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى
موضعه وجاه فيما ذكر ابن اسحاق وغيره ابو جهل بصخرة
وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت
بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى
خلفه ثم ساله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان
قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن راه ليدمغنه فسالوه

عن شانه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رايت مثله قط هم بي
ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لاخذه
وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم
ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله
الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه واذكر ان هاتين القصتين نزلت انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان الايتين ذلك ما ذكر ابن اسحاق في قصته
اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث
عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم
فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي
انه خرج الى بني النضير يستعين في عقد الكلابيين الذين قتل عمرو بن
امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك
ما سالتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي
معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام
كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى
الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لان راى محمدا يصلي ليطان
رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه
ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسيل فقال لما دنوت منه
اشرفت على خندق مملو نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما و
خفق اجنحة قد ملات الارض فقال عليه الصلوة والسلام تلك الملا يكة
لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم
كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه
يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد
فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ودفع سيفه ليصبه عليه قال
فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت

هاربا

هاربا واحس النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري
وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل
فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة
لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم
عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم
قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على
صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيا احب الي منه
ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على
النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد
فاضربه انت فلم يره فعل شيا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان
اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا
من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم
وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك
نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه الصلوة والسلام

فصل ومن معجزاته الباهرة

ما جمعه الله من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصا لح
الدنيا والدين ومعرفته من امور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عبا دة
ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة و
القرون الماضية من لدن ادم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم
ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف
ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة
ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها
ومخبات علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء
على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحا ها

والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع
كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم
للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه
ولا تخاذل مع مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الا داب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيا الا من
جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يد عو
اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ما احل لهم
من الطيبات وحرم عليهم من الخبايث وصان به انفسهم واعراضهم
من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا الى الاحتوا على
ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرايض والحساب
والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه
الصلوة والسلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه الصلاة
والسلام الرويا بالاول عابر وهي على رجل طاير وقوله الرويا
ثلاث رويا حق ورويا يحدث بها الرجل نفسه ورويا تحزين
من الشيطان وقوله صلى اذا تقارب الزمان لم تكد رويا المومن
تكذب وقوله اصل كل دا البردة وما روي عنه في حديث ابي هريرة
من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان حديثا
لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله
خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة
يوم سبعة عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي
سبعة اشفية وقوله ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطنه الى قوله
فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله
وقد سيل عن سبا ارجل هو ام امراة ام ارض فقال رجل ولد
عشرة تيامن منهم ستة وتشام اربعة الحديث بطوله وكذلك
جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها

بالنسب

بالنسب الى سواله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير راس
العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها و
جمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار
كهيته يوم خلق الله السموات والارض وقوله في الحوض زواياه
سوا وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون
على اللسان والف وخمسماية في الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع
الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا
افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل
هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شي
حتى وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمد وا
بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في
الحديث الاخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه الصلاة
والسلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم البا وفرق السين ولا تعور
الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية
انه عليه الصلوة والسلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع
الكتابة والقراة واما علمه عليه الصلوة والسلام بلغات العرب
وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه اول
الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنة سنة و
هي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث
ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك
مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس
والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو كما قال الله اي لم يكتب
ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشي منها قال د
الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية انما كا نت
غاية معارف العرب النسب واخبار اوايلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك

لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه
وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى
جحد الملحد لشي مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه
الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة
العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي
وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القران وظهور
ما لا ينعد من الايات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرا على النبي
صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي
صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان
وهم الفصحا اللد والخطبا اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به و
الاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن
نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم
في اسمه بين اظهرهم يكلمونه مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شي
من مثل ما كان يجي به محمد عليه الصلاة والسلام وهل عرف واحد منهم
بمعرفة شي من ذلك وما منع العدو حينيذ على كثرة عدده ودوب طلبه
وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه
ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه
ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى
بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره
وشبابه على عادة ابنايهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم
يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في
صحبة قومه ورفاقه عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو
كان هذا بعد كله لكان مجي ما اتى به معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا

كل

لكل حجة ومجليا لكل امر

فصل

ومن خصايصه عليه الصلاة
والسلام وكراماته وباهر اياته انباوه مع الملايكة والجن وامداد الله له بالملايكة
وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه وجبريل الاية وقال واذ يوحي ربك الى الملايكة
اني معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني
ممدكم الاية وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية
حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه سماعي عليه ثنا ابو الليث
السمرقندي ثنا عبد الغافر الفارسي ابو احمد الجلودي ثنا ابو سفيان ثنا
مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني
سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى
جبريل واسرافيل وغيرهم من الملايكة وما شاهده من كثرتهم وعظم
صور بعضهم ليلة الاسرا مشهور وقد راهم بحضرته جماعة من اصحابه
في مواطن مختلفة وراى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يساله
عن الاسلام والايمان وراى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل
في صورة دحية وراى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكايل في صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر
الملايكة خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الروس من الكفار ولا يرون
الضارب وراى ابو سفيان بن الحارث يوميذ رجالا بيضا على خيل بلق بين
السما والارض ما يقوم لها شي وقد كانت الملايكة تصافح عمران بن الحصين
وراى النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه
وراى عبد الله بن مسعود الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر
ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له
الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن
عمر بن الخطاب انه قال بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم

اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه
وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر
انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم
علمه سورا من القران وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه
العزى للسودا التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه
واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه
الصلوة والسلام ان شيطانا انفلت البارحة ليقطع على صلاتي
فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري
المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الاية فرده الله خاسيا وهذا
باب واسع

فصل ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

وعلامة رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلما
اهل الكتب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم
الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لوي وسفيان بن مجا شع
وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به
من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري و
علما يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما
القي من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلما وبينوه ونقله
عنهما ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وبني يامين ومخير يق
وكعب واشباههم ممن اسلم من علما يهود وبحيرا ونسطور الحبشة
وصاحب بصرى وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجا شي
ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علما النصار ى
وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم

ومقو

ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب وا خوه
وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علما اليهود ممن حمله الحسد
والنفاسة على البقا على الشقا والاخبار في هذا اكثر من صفته اصحابه
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف
ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب
فما منهم الا من نفر عن معارضته وابدا ما الزمهم من كتبهم اظهاره و
لو وجدوا خلاف قوله لكان اهون عليهم من بذل النفوس والامو ال
وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان
كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق و
سطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكند ي
وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا
يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته
وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد من
اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة بالرسالة مكتوبا في الحجارة و
القبور بالخط القديم ما اشهره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور

فصل ومن ذلك ما ظهر

من الايات عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجايب وكونه
رافعا راسه عندما وضعته شاخصا ببصره الى السما وما راته من النور
الذي خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص
من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول
الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي
واستهل سمعت قايلا يقول رحمك الله واضا لي ما بين المشرق والمغر ب
حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته
ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه و
حسن نشاته وما تعرف جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج

ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس
وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو
صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان
ساير ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم
صقيلا دهينا كحيلا ومن ذلك حراسة السما بالشهب وقطع
رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشا عليه من بغض
الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك
وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذا اخذ ازاره
ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد
ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت عن التعري ومن ذلك
اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة ونساها
راينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك فاخبرها انه راى
ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رات غمامة
تظله وهو عندها وروي ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك
انه نزل في اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما
حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه
وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الاخر حتى اظلته وما ذكر انه كان لا يقع على
جسده ولا ثيابه ذباب ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه مه
بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره
روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث
الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملايكة على جسده على ما رو وبناه
في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله و
ندايهم الذي سمعوه ان لا ينزعوا القميص عنه عند غسله وما روي
من تعزية الخضر والملايكة اهل بيته موته الى ما ظهر على اصحابه من
كراماته وبركته في حياته وموته كاستسقا عمر بعمه وتبرك غير واحد

فصل قال المؤلف
رحمه الله تعالى

قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته
مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرناه و
اقتصرنا من الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسير من غريبه مما
ذكره مشاهير الايمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار
وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات
عدة ومعجزات نبينا اظهر من ساير معجزات الرسل في وجهين احدهما
كثرتها وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ
منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول الباب ومعجزات
من تقدم من الانبيا تقف على ذلك ان شا الله تعالى واما كونها كثيرة
فهذا القران معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض الايمة
المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب
بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان
كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق
ما ذكرناه اولا لقوله تعالى قل فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما
تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا
كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة
ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر
كلمات فتجزا القران على نسبة انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة
الاف جز كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين
طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جز من هذا العدد معجزتان
فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار
بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية الخبر
عن اشيا من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد

كثرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخرى التي ذكرناها توجب التصنيف
معدا حق في القران فلا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر
براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه
الصلوة والسلام في هذه الابواب وعما دل عليه امره مما اشرنا
اليه تبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته
صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم
وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم
اهل السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم
عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل
سحرهم وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب واوفر ما كان
اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه
من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص دون معالجة طب
وهكذا ساير معجزات الانبياء ثم ان الله تعالى بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلا غة
والشعر والخبر والكهانة فانزل عليه القران الخارق
لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة
الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب
العجيب الذي لم تهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان ن
منهجه ومن الاخبار عن الكواين والحوادث والاسرار والمخبات والضماير ر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان
اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها
من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة
وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن
بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجا معة
لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القران ثابتة الى يوم

القيامة

القيامة بينة الحجة لكل امة تاتي لا يخفى وجوه ذلك الى من نظر فيه وتامل
وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر و
لا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظا هر
البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد
طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان عندها حقا وسا بر
معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا
تضمحل ولهذا اشار عليه الصلوة والسلام بقوله فيما حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد ثنا
وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز
ابن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه
البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا
يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان
شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا عليه الصلوة والسلام الى معنى اخر من ظهورها بكونها و
حيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من
معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفا
كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه
القران كلام ليس للحيلة ولا السحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه
عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شا عرا
عرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي
هذا التاويل الثاني ما يغض من الخفي عليه ويغضي وجه ثالث على مذهب
من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها
او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم

ولكن ذلك قيل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه و
وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك الاتيان بما في مقدورهم
او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال
وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد
بين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن
شيء هو من مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال
وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها
كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك
من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم
الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلائق مبين من السنين بكلام
من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي اية ان يمنع الله
القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان
ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك ابهر اية واظهر دلالة وبالله التوفيق
وقد غاب عن بعض العلما وجه ظهور ايته على سائر ايات الانبيا حتى
احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكا البابهم ووفور عقولها
وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم
من القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة
وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري
ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح بعد اجماعهم على صلبه
وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الايات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي
هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع
وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من امن بالله وحده من

في

قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفا لبه ولما جاءهم
الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته
فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا
ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا بما
يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا
من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن
ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين

الى هنا نصف الكتاب

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه

من حقوقه عليه الصلاة والسلام قال القاضي ابو الفضل وهذا
قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها
في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم
الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته صلى الله عليه وسلم

ووجوب طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة
رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا بالله
ورسوله والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
ليؤمنوا بالله ورسوله وقال امنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية فالايمان
بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح
اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا ثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراتي عليه ثنا
الامام ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا
ابن سفيان ثنا ابو الحسين ثنا امية ابن بسطام ثنا يزيد بن زريع
ثنا روح عن العلاء ابن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهد

ان لا اله الا الله ويومنوا بي وبما جيت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله **قال القاضي** ابو الفضل والايمان به
عليه الصلوة والسلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه
في جميع ما جا به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة
اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق با
لشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا
الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وزاده وضوحا في حديث
جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم ساله
عن الايمان فقال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله الحديث فقد
تقرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى
النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة
باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه
فلما لم يصدق ذلك ضمايرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا
بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار
شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالايمة وحكام المسلمين الذين
احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل
للبشر سبيل الى السراير ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق
بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام
والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما

ان

ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه
فشرط فيه بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به وزاد بعضهم
مومنا مستوجبا الجنة لقوله عليه الصلوة والسلام يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا
مومن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في
هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه
من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا
اختلف فيه ايضا فقيل هو مومن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال
فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمومن حتى يقارن عقده شهادة
اذ الشهادة انشا عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم
التصديق المطلق الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي الى متسع
من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان
وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع
الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين
حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام
حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما
ذكرناه غنية فيما قصدناه ان شا الله تعالى

فصل واما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم

فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جا به وجبت طاعته لان ذلك
مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله و
قال قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله و
الرسول فاوليك الاية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله

بجعل طاعته رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك
بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره
واجتناب نهيه قال المفسرون وايمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم
لما جا به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من
ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرايضه و
سيل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما اتاكم الرسول
فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرايضه والرسول في سنته
وقيل اطيعوا الله فيما حرم الله عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا
الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب ب
بقراتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف ثنا
محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبدان انا عبد الله ثنا
انا يوسف عن الزهري انا ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة
يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع ع
الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصا
اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته
فطاعته امتثال لما امر الله به وقد حكى الله عن الكفار في دركات
جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسول فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه الصلوة
والسلام اذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما
استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه عليه الصلوة والسلام كل امتي
يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه الصلوة
والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا
قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طايفة
من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طايفة منهم فا

صحوا

صحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من
اطاعني واتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب ما جيت به من
الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادو بة
وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادوبة ومن لم
يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادوبة فالدار الجنة والداعي محمد
فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس

فصل واما وجوب طاعته

وامتثال سنته والاقتدا بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك الى قوله تسليما
اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الاخر الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتدا به
والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين
بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى
صراط الذين انعمت عليهم بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم
الاهتدا باتباعه لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى
في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوايهم وما تجنح اليه
نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الا
عتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا
نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية وروي انها يذ
نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابنا الله واحباوه

ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون
ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به ان محبة العبد لله والرسول
طاعته لهما ورضاه بما امر ومحبته لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم
برحمته ويقال الحب عصمة من الله وتوفيق ومن العبد طاعة
كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع
ويقال المحبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له
رحمته وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال
القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات
وسياتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا
ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه ثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل
حدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه قراءة عليه قال ثنا حاتم
ابن محمد قال ثنا ابو حفص الجهني ثنا ابو بكر الاجري ثنا ابراهيم بن موسى
الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن
خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض
ابن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع
عنه عليه الصلاة والسلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه
الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة صنع رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله
اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه الصلاة والسلام

انه

انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي
خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري
ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما
اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه الصلاة والسلام من اقتدى
بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله
وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن
عمرو بن العاص قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة
فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة
عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه الصلاة والسلام عمل
قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه الصلاة والسلام
ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي
له اجر مائة شهيد وقال عليه الصلاة والسلام ان بني اسرائيل
افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلاث
وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله
قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه الصلاة
والسلام من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي
عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال
ابن الحارث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له
من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا
ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان
عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا

فصل فيما ورد عن السلف في السنة

والايمة من اتباع سنته والاقتدا بهديه وسيرته حدثنا الشيخ
ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي قليد الفقيه سماعا عليه قال ثنا
ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قا
لا ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك بن شهاب عن رجل
من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن
انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر فقال
ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيا فانما نفعل كما راينا
يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة
الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله وقوة على دين الله ليس
لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى
بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المومنين
ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن
ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب
بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب
عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان
ناسا يجادلونكم يعني بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن
اعلم بكتاب الله وفي خبر حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال
اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين
قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه
الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في
السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر
ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل
والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله

ففاضت

ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض
من عبد على السبيل الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك
اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل الله و
سنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون
عملكم ان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبيا وسنتهم
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلد وكثرة لصوصه هل
ياخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه
عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا
اصلحهم الله وعن عطا في قوله فان تنازعتم في شي فردوه الى الله
والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسول الله وقال الشافعي ليس
في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر
الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي
عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسيل فقال لا ادري الا اني
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو
عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة
ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري
اصول مذهبنا ثلاثة الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في الا
خلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الا
عمال وجا في تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه انه الاقتدا برسول
الله صلى الله عليه وسلم وروي عن احمد بن حنبل قال كنت
يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الما فاستعملت الحديث من
كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد
فرايت تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمال

لك السنة وجعلك اماما يقتدي بك قلت من انت قال جبريل

فصل

ومخالفة امره

وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان
والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من
بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى
الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب
بقراتي عليهما قالا ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا احمد بن ابي سليمان ثنا سحنون
ابن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر
الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير
الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فا
قول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس
منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من امري
مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله
اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه الصلوة والسلام وجيء
بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به
نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك
يتلى عليهم الاية وقال عليه الصلوة والسلام هلك المتنطعون
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيا كان رسول الله

صلى

امرت ان ازيغ

صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيا من

الباب الثاني في لزوم محبته
صلى الله عليه وسلم تسليما

قال الله تعالى قل ان كان اباوكم وابناوكم وازواجكم واموال اقترفتموها
الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب
فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه الصلوة والسلام اذ قرع
تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم
ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ
فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد ثنا سراج بن عبد الله
القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن
اسماعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن عبد العزيز بن
صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يومن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن
ابي هريرة نحوه وعن انس عنه عليه الصلوة والسلام ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سوا هما
وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف
عمر بن الخطاب انه قال النبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي
من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي
انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية
الرسول عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه الصلوة
والسلام لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد
ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن
يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة
عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت
لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله
قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك
فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب
وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما
وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وروي ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي
واني لاذكرك فما اصبر حتى اجي فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك
فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها
لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر
كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك
فقال بابي وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيامة رفعك
الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف

والائمة

والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا
القاضي الشهيد ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن
ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد
امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو راني باهله وماله ومثله عن ابي ذر
تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من
نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد
احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن
معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراشه الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم
اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي اليك حتى
يغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي
بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه
ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب
قال للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحاق ان امراة من الانصار
قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله
كما تحبين قالت ارنيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل
وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله
احب الينا من اموالنا واولادنا واباينا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما
وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت
واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه
الطيبون الاخيار … قد كنت قواما بكا بالاسحار يا ليت شعري
والمنايا اطوار … هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله

عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله عمر خدرت
رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت
ولما احتضر بلال نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القي الاحبة
محمدا وحزبه ويروى ان امراة قالت لعايشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة
زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك
بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك تضرب عنقه وانك
في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه
تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس
احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت
من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف
ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله فيما علمت
صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته

عليه الصلاة والسلام اعلم ان من احب شيا اثره واثر موافقته والا
لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله
عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتدا به واستعمال
سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه
والتادب بادابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد
هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته
قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من
هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون

على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضى الله حدثنا
القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسن الصيرفي وابو الفضل
ابن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا
محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري
عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح
وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي
ومن احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه
الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض الامور فهو ناقص
المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه الصلوة والسلام للذي
حده في الخمر ولعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يوتى به فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي
صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره فمن احب شيا اكثر ذكره ومنها كثرة
شوقه الى لقايه فكل حبيب يحب لقا حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم
المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال
ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علا
ماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والا
نكسار مع سماع اسمه قال اسحاق التجيبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير
من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا ومنهم من يفعله تهيبا
وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من
ال بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض
من ابغضهم وسبهم فمن احب شيا احب من يحبه وقد قال عليه
الصلوة والسلام في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية
في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني

فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد
ابغض الله وقال الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله فقد يوشك ان ياخذه
وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما يغضبها وقال لعا يشة
في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال اية الايمان حب الانصا ر
واية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء
يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد
قال انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدبا من حوالي
القصعة فما زلت احب الدبا من يومئذ وهذا الحسن بن علي
وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم
طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر
يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم
يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من
عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقال كل
من يخالفه شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله
واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وهولاء اصحابه عليه
الصلوة والسلام قد قتلوا احباهم وقاتلوا اباهم وابناهم في مرضا ته
وقال له عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها
ان يحب القران الذي اتى به عليه الصلوة والسلام وهدى به واهتدى ي
وتخلق به حتى قالت عايشة كان خلقه القران وحب القران تلاوته
والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن
عبد الله علامة حب الله حب القران وحب القران حب النبي صلى الله
عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة و

علامة

علامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة
بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود
لا يسال احد عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله ور
سوله ومن علامة حبه النبي صلى الله عليه وسلم شفقته على
امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه الصلوة
والسلام بالمومنين رووفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها
في الدنيا وايثار الفقر واتصافه به وقد قال عليه الصلوة والسلام
لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلا الوا دي
والجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله
عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني
احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر
نحو حديث ابي سعيد بمعناه

فصل

في معنى المحبة

للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير
محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في
ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلا ف
احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام
كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية
وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته
والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام
الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق
الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب
ما احب ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب الى قبول
قوله وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق واكثر العبارات
المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة

المحبة الميل الى مايوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه
بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة
اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مايل اليها لموافقتها له او لا
بتلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معان باطنة شريفة كمحبة
الصالحين والعلما واهل المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة
فان طبع الانسان مايل الى الشغف بامثال هولاء حتى تبلغ التعصب
بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرين مايودي الى الجلاء عن
الاوطان وهتك الحرم واحترام النفوس او يكون حبه اياه
لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس
على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب
كلها في حقه عليه الصلوة والسلام فعلمت انه عليه الصلوة
والسلام جامع لهذه الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة
والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر
من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على
امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رافته
بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم
به من النار وانه بالمومنين روف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم
خطرا من احسانه الى جميع المومنين واي افضال اعم منفعة
واكثر فايدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى
الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة
ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم
والموجب لهم البقا الدايم والنعيم السرمدي فقد استبان لك
انه عليه الصلوة والسلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا

بما قدمناه من صحيح الاثار عادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضة
الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في
دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة
التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه
ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك
لحسن سيرته او حاكم لما يوثر من قوام طريقته او قاص بعيد الدار
لما يشاد من علمه او كرم شيمته من جميع هذه الخصال على غاية
مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال على رضى الله عنه
في صفته عليه الصلوة والسلام من راه بديهة هابه ومن خالطه
معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه
محبة فيه

فصل في وجوب مناصحته

عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما
ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين
مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراتي
عليه ثنا حسين بن محمد ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن عبد الله ثنا
ابن عبد المومن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا احمد بن يونس
ثنا زهير ثنا سهيل بن ابي صالح عن عطا بن يزيد عن تميم الداري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال
لله ولكتابه ولرسوله وايمة المسلمين وعامتهم رحمهم الله
النصيحة لله ولرسوله وايمة المسلمين وعامتهم واجبة قال
الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة
الخير للمنصوح له فليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها

ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته
من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف النصح فعل الذي به
الصلاح والملاءمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به
الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة
الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز
عليه والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه والاخلاص في
عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه
والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة فيما امر به ونهى عنه
قاله ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته
حيا وميتا واحيا سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق
باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو اسحاق ابراهيم التجيبي
نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جا به
والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله
والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد
من فروض القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين
نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له
بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة
له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الى صدقوا ما عاهدوا الله
عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية وما نصيحة
المسلمين بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة
له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة ال بيته

واصحابه

واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه
والتحذير عنه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسير
ادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكر تكون النصيحة احدى ثمر
المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري
ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف با
لصفار رئي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي فقال بماذا
قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني كثرتهم
فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته
فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم
في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه و
تنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج
عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين
ارشادهم الى مصالحهم ومعرفتهم في امور دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم
ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم

الباب الثالث في
تعظيم امره

ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الاية وقال يا ا
يها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الايات وقال يا ا
يها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الايات الثلاث
وقال لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فاوجب تعالى
تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه
وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه
وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهوا عن

التقدم بين يديه بالقول وكالادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس
وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان
يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل ه
بقضاء امر قبل قضايه فيه وان يفتاتوا بشي في ذلك من قتال وغيره
من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى هذا يرجع قول الحسن و
مجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة
ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني
في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم
عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول
كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا
باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغالظوا له بالخطاب
ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف
ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الاية الاخرى
لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا على احد التاويلين
قال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم
ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم و
قيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد
اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون
وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت
اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى
الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان
يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي
ان يكون قد حبط عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر

بالقول

بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت
اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم
اليمامة وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول
الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه
كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم
مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري
ايا محمد ايا محمد فقلنا اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين
كانت هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم
وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها
كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت
اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون
عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا

فصل في عادة الصحابة

في تعظيمه عليه الصلوة والسلام وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي
ابو علي الصدفي وابو عمر الاسدي سماعا عليهما في اخرين قالوا ثنا
احمد بن عمر ثنا احمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن سفيان
ثنا مسلم ثنا محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحاق بن منصور
قالوا ثنا الضحاك بن مخلد ثنا حيوة بن شريح ثنا يزيد بن ابي حبيب
عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا

طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب اليّ من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو
سيلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املا عيني منه **وروى الترمذي**
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج على اصحابه من المهاجرين
والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر
وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويبتسمان اليه ويتبسم اليهما
وعن اسامة ابن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
حوله كانما على رووسهم الطير **وفي حديث صفته** اذا تكلم اطرق جلساوه
كانما على رووسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام
القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه
له ما راى وانه لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا
يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم
واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم
بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني
جيت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني
والله ما رايت ملكا في قومه قط مثل محمد في اصحابه **وفي رواية**
ان رايت قط ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما
لا يسلمونه ابدا **وعن انس** لقد رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع
شعرة الا في يد رجل **ومن هذا** لما اذنت قريش لعثمان في الطواف
بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية
ابى وقال ما كنت افعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه
ويوقرونه فسال فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه **وفي** حديث قيلة فلما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصا ارعدت من الفرق
وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البرا ابن عازب
لقد كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الا مر
فاوخره سنين من هيبته

فصل واعلم ان حرمة

النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما
كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه الصلوة والسلام وذكر حديـ ـثه
وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم
اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مومن
متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته
وياخذ في هيبته واجلاله بما كان ياخذ نفسه لو كان بين يديه ويتا دب
بما ادبنا الله قال القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح
وايمتنا الماضين رضي الله عنهم **حدثنا** القاضي ابو عبد الله محمد بن
عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما
اجازونيه قالوا **ثنا** ابو العباس احمد بن دلهاث **ثنا** ابو الحسن علي بن
فهر **ثنا** ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج **ثنا** ابو الحسن عبد الله بن المنتاب
ثنا يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل **ثنا** ابن حميد قال ناظر ابو جعفر
امير المومنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل
ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما
فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وذم قوما
فقال ان الذين ينادونك الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها
ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به
فيشفعه الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك الاية
وقد سيل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه
قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله
للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان
مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك
على جلسايه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما
ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القرا لا نكاد نساله عن
حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد الصادق
وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال
اما مصليا واما صامتا واما يقرا القران ولا يتكلم بما لا يعنيه وكان
من العلما والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن
ابن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف
منه الدم وقد جف لسانه في فيه هيبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولقد اتى عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله
عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد كنت اتى صفوان
ابن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ولقد رايت الزهري وكان
من اهنى الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
فكانه ما عرفك ولا عرفته وروي عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث
اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا

يسمعهم

يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سوا وكان عبد الرحمن بن مهدي
اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الا
نصات عند قراة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

فصل في سيرة السلف

في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته
حدثنا ابو محمد بن الحسن بن محمد الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو بكر البر قان
وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا علي بن مبشر ثنا احمد بن سنان
القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي عن مسلم البطين
عن عمرو بن العاص قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما
فجرا على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى
رايت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شا الله او فوق ذا او ما دون
ذا او ما قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية تغرغرت عيناه
وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي
المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني
لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله وانا قايم
وقال مالك جا رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع
فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان
احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي
عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع قال ابو مصعب كان
مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو

على وضوء اجلالا له مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب
ابن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم توضا وتهيا ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسيل عن ذلك
فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان
اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ
تريدون الحديث او المسايل فان قالوا المسايل خرج اليهم وان قالوا الحديث
دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم
ووضع على راسه رداه ويلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه
الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في
ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق
او وهو قايم او مستعجلا وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ضرار ابن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء قال
عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب
ستة عشر مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له
يا ابا عبد الله لقد رايت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما
مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرني وقال كنت في عيني اجل
من ان تسل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي
وساله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قايم فامر بحبسه
فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن الغازي
سل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق

فحدثه

فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني
حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما
طاهران وكان قتادة يستحب ان لا تقرا احاديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان
يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل ومن توقيره

صلى الله عليه وسلم وبره بر اله وذريته وامهات المومنين ازواجه كما
حض عليه عليه الصلوة والسلام وسلكه السلف الصالح رضي الله
عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية
وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد
المعدل من كتابه وكتبت من اصله ثنا ابو الحسين المقري الفرغاني حدثتني
ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي حاتم هو ابن عقيل ثنا
يحيى هو ابن اسماعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن
مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد عن اهل بيته قال ال علي وال
جعفر وال العباس وقال عليه الصلوة والسلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لم
تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفون فيهما وقال عليه
الصلوة والسلام معرفة ال محمد براة من النار وحب ال محمد جواز على
الصراط والولاية لال محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم
هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف
وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر ابن ابي سلمة لما نزلت انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا
فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هولاء اهل
بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص
لما نزلت اية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا و

حسبنا وفاطمة الطهران هولاء اهل بيتي وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال له
لا يحبك الا مومن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي
بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن اذى عمي فقد
اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم
وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار
كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت امين امين وكان
ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال
ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي
بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي
وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وقال من احبني
واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في
درجتي يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه
الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال عليه الصلوة والسلام
لام سلمة لا توذيني في عايشة وعن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر رضي الله
عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي صلى الله
عليه وسلم ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن
ابن حسين قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة
فارسل الي او اكتب فاني استحي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى
زيد ابن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلة ليركبها فجا ابن عباس فاخذ بركابه
فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا نفعل بالعلما فقبل
زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا وراى ابن
عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن
اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو راه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت اسامة بن زيد صاحب

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها
يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه و
يداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك
لها حاجة الا قضاها **ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه** لابنه عبد الله
في ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمسماية قال عبد الله
لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب
اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى عليه وسلم على حبي **وبلغ**
معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل
بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال
وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني
قد جعلت ضاربي في حل فسيل بعد ذلك فقال خفت ان اموت
فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحي منه ان يدخل بعض اله النار
بسببي **وقيل** ان المنصور اقاده جعفر فقال له اعوذ بالله والله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم **وقال ابو بكر بن عياش** لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي
لبدات بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولان اخر من السما الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما **وقيل** لابن
عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد
فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم **وكان** ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية

على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي
وفدت على ابي بكر وعمر صنعا مثل ذلك

فصل ومن توقيره وبره

عليه الصلوة والسلام توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم و
الاقتداء بهم وحسن الثنا عليهم والاستغفار لهم والامساك عما
شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة
الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان نلتمس لهم فيما
نقل مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب
المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل نذكر
حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ونسكت عما وراء ذلك كما قال عليه الصلوة
والسلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة وقال
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال لقد رضي
الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي السبتي ثنا محمد بن
محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفيان بن عيينة
عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي
ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في
الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس

اجمعين

اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي
فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع
العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة
ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي
كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد
ابغضني قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم
فليس له في المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم
الاية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ
بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا
الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني
من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل
ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد
اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثنا على اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع
مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل
الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث خالد
ابن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس
اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض
عن عمر وعن عثمان وعن علي وطلحة والزبير وسعد وعبد
الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل
بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري
واختاني لا يطالبكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب
في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز
من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه

علي وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه الصلوة والسلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه الصلوة والسلام من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيامة وقال من حفظني في اصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي مودب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الي البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امر الله وامر النبي بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيامة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيامة قال سهل ابن عبد الله التستري لم يومن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره

فصل ومن اعظامه واكباره

اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه الصلوة والسلام او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كانت لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد ابن الوليد شعرات من شعره عليه الصلوة والسلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه الصلوة والسلام لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين

وروي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية بضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه الصلوة والسلام في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه الصلوة والسلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوا مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا ... فوادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا

عن الاكوار المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشا متمثلا يقول

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري ... قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

قربتنا من خير من وطئ الثرى   فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد
الابق لا ياتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت
على قدمي قال القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وترد بها
جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها
بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها
من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات ومساجد وصلوات
ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات
ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين
ومتبوا خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها
ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى
ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به   هدي الانام وخص بالايات
عندي لاجلك لوعة وصبابة   وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملات محاجري   من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها   من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها   ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من حفيل تحيتي   لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة   تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات   ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع

في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية
ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل

ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم
هي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعا الرحمة من الله وقد ورد
في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له
اللهم ارحمه فهذا دعا وقال ابو بكر القشيري الصلوة من الله تعالى
لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة
ابو العالية صلاة الله ثناوه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة
الدعا قال القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث تعليم الصلوة اليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل
انهما بمعنيين والتسليم الذي امر الله به عباده فقال القاضي ابو بكر
ابن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى النبي صلى الله عليه وسلم
فامر النبي اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على
النبي عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه
احدها السلامة لك ومعك ويكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة
والثاني اي السلام على حفظك ورعايتك وكفيل به ويكون هنا السلام
اسم الله الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا
يومنون حتى يحكموك فيما بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما فرض على الجملة غير محدود بوقت لامر الله تعالى بالصلاة
عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى
ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله
فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج وماثم ترك الفرض
مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن
الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحا
بنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة من
دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على
خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك الوقت معلوم

فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله
محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان ولا تتعين
في الصلاة وانه من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه
وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه
الصلوة والسلام هو في الصلاة وقالوا اما في غيرها فلا خلاف
انها غير واجبة واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري
والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة
على ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ
الشافعي في ذلك فقال من لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم
من بعد التشهد الاخر وقبل الصلاة فصلاته فاسدة وان
صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة
يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسيلة عليه لمخالفته فيها من
تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري
وغير واحد وقال ابو بكر ابن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى
فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته
مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة
من اصحاب الراى وغيرهم وهو قول جملة اهل العلم وحكى عن مالك
وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد
مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة
واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان عن محمد
ابن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرايض الصلاة
وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب

ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي
الشافعي وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي
في هذه المسيلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة
وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم فيها قدوة والدليل
على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي
واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسيلة جدا وهذا
تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله
عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي وكذلك كل من روى التشهد عن النبي
صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد
الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي
صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران ونحوه
عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون
الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة
لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة ولمن لم يصل علي مرة في عمره
وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث حديث ابي جعفر
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل
فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي
جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصلي فيها على النبي
صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم

فصل في المواطن التي

يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب
من ذلك في تشهد الصلاة كما بيناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء
حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه ثنا الامام ابو القا

البلخي ثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ
ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقري ثنا حيوة بن شريح
حدثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة
ابن عبيد يقول سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو
في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احد
فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شا
ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو اصح عن عمر بن الخطاب
قال الدعا والصلاة معلق بين السما والارض ولا يصعد
الى الله منه شي حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي
عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي
ان الدعا محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله شيا فليبدا
بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم يسال فانه احرى ان ينجح وعن جابر قال صلى الله عليه وسلم
لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه
ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء يتوضا
والا هراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره وقال
ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه
قوي وان وافق اجنحته طار في السما وان وافق مواقيته فاز
وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب الرقة والاستكانه
والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته
الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم وفي الحديث الدعا بين الصلاتين لا يرد
وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة

على صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال
في آخره واستجب دعائي ثم تبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت
على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلاة عليه
عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه
الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره
سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا
على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن قاسم
موطنان لا يذكر فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر
الله صلى الله على محمد لم تكن تسميته له مع الله وقال اشهب
قال ولا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه
استنانا عن علي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة
دخول المسجد قال ابو اسحاق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد
ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه
وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل
ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت
احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله
وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال
النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله
واذا لم يكن فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل
واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل
المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة
وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن
مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز وذكر عن ابي
امامة انها من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل
الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واله في
الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول
واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار
الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال عليه الصلاة
والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ
الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت
حدثنا ابراهيم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابو نعيم
الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات
والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح
في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد
روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان
يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد
ابن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلا

مهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الا
نسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني ادم
والجن قال مالك في المجموعة وليجب المأموم اذا سلم امامه ان يقول
السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليك

فصل في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم

حدثنا القاضي ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا
ابو الاصبغ ثنا ابو عبد الله بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد وغيره
ثنا ابو عيسى ثنا ابو عبيد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن عبد الله بن
ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد
الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على
محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية
مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل
كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل
على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت
على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل
على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على
محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا
عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا ثنا ابو عبد الله بن
سعدون الفقيه ثنا ابو بكر المطوعي ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر
ابن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن
المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه
الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى

آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم

الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب
العزة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على
ابراهم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد
كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد
وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال
بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد
النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سالت النبي صلى
الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعا
ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد
وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرايف صلواتك ونوامي
بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم
لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع
بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس الا الله تصل باهله
اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام
ونايرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك
المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له
في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات له غير مكدرات
من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطايك المعلول اللهم اعلي على بنا الناس بناه
واكرم مثواه لديك ونزله واتم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول

الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم
وعنه ايضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملايكته
يصلون على النبي الاية لبيك اللهم وسعديك صلوات البر الرحيم و
الملايكة المقربين والنبيين والصديقين والشهدا والصالحين وما سبح
لك من شي يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين
وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك
السراج المنير وعليه السلام **وعن عبد الله** بن مسعود اللهم اجعل
صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم
النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد كما
صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد **وكان الحسن البصري** يقول من
اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد
وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره
وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين
عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته
العليا واته سوله في الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى **وعن
وهيب** بن الورد انه كان يقول في دعايه اللهم اعط محمدا
افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له احد من
خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسول له الى يوم القيامة **وعن ابن مسعود**
انه كان يقول اذا صليتم على النبي فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون
لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه
فيه الاولون والاخرون اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على

ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
انك حميد مجيد وما يوثر في تطويل الصلاة وتكثير الثنا عن اهل البيت وغيرهم
كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وفي تشهد علي السلام على نبي الله السلام على انبيا الله ورسله
السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا
وعلى المومنين والمومنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد
وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وار
حمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته فجا في هذا الحديث عن علي الدعا للنبي با
لغفران وفي حديث الصلاة عليه ايضا قبل الدعا له بالرحمة ولم
يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب
ابن عبد البر وغيره الى ان لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له با
لصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد
ذكر ابو محمد ابن ابي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على ابراهيم وآل ابراهيم ولم يات هذا
في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

على النبي والتسليم عليه والدعا له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح
من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو بكر بن معاوية حدثنا
النسائي انبانا سويد بن نصر انبانا عبد الله عن حيوة بن شريح عن كعب
ابن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله
ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى

الله

الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا
ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الو
سيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس ابن مالك ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر
صلوات وحط عنه عشر خطيات ورفع له عشر درجات وفي رواية
وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه الصلاة والسلام
ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا
ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه
الصلاة والسلام لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم
عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية
ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة
وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من
قال اللهم صلى على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له
شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة
وعن ابي هريرة عنه عليه الصلاة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل
الملايكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت
عليه الملايكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن
كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل
قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء
الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم ا
جعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال
ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن

ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلا قته
ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشا رة
من ربي ان الله بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك
الا صلى الله عليه وملايكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع الندا اللهم رب هذه الد عوة
التامة والصلاة القايمة ات محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقا ما
محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة وعن
سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع الاذان وانا اشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وروى
ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا
فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم
الا بكثرة الصلاة علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها
ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الما البارد للنار والسلام عليه
افضل من عتق الرقاب

فصل
في ذم من لم يصل على

النبي صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو
علي رحمه الله ثنا ابو الوليد بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قا
لا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا
احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحا ق
عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل
دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه
الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حد
يث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين ثم صعد

فقال

فقال امين ثم صعد فقال امين فساله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل
صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل
عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال فيمن
ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احد ها
فلم يبرهما فمات مثله ابن ابي طالب عنه عليه الصلاة والسلام انه قال
البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطى به
طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا
الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله
ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلاة
علي نسي طريق وعن قتادة عنه عليه الصلاة والسلام من الجفا
ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه الصلاة والسلام
ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي
صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرو ن
من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى
الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزا عنه ما كان
في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه
عليه الصلاة والسلام

بتبليغ صلاة من صلى عليه وسلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو عبد المومن
ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقري ثنا حيوة عن ابي صخر

حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من الصلاة على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فلا احد لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه الصلاة والسلام حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء ما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلاة

على غير النبي وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال القاضي

وفقه

وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلاة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد عليه الصلاة والسلام وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحاق اكره الصلاة على غير الانبياء ولا ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا باس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى اله او الاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعا وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على ال فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي اخر وعلى ال محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل ال بيته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل ال الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من ال محمد قال كل تقي ويجي على مذهب الحسن ان المراد بال محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على ال احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود يريد من مزامير داود

وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صلي على محمد
وازواجه وذريته وفي حديث بن عمر انه كان يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى
الاندلسي وذكر ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين
يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي والذي ذهب اليه
المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي
عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا
يصلي على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شي يختص به الانبيا توقيرا
لهم وتعزيزا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم
ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
وساير الانبيا بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله
بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الايمة وغيرهم
بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم وايضا
فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثه الر
فضة والمتشيعة في بعض الايمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة
وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل
البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة
على الال والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة
اليه لا على التخصيص وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى
عليه مجراها مجرى الدعا والمواجهة ليس فيها التعظيم والتوقير قالوا وقد قال
الله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فكذلك
يجب ان يكون الدعا له مخالفا لدعا الناس بعضهم لبعض وهذا هو
اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا فصل في حكم زيارة قبره وفضيلة

وفضيلة

وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه الصلاة
والسلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روي
عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه من زار قبري وجبت له شفاعتي
وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة
وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك
ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك
فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لعن الله زوارات
القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري
فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزاير افضل من المزور
وهذا ايضا ليس بشي اذ ليس كل زاير بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد
في حديث الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه والاولى عندي
ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه
لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه الصلاة
والسلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على
قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر و
التشبه بفعل اوليك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحاق
بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد
الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية
روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطي قدميه
والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره
وقصده من الصحابة وايمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال
ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف
عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملايكته

يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين
مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجه
ابن ابي سعيد المهدي قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال
اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فاقره مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال
بعضهم رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف
فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى
الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم
ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى
الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان
يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة
عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته
مائة مرة واكثر يجي الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي
بكر السلام على ابي ثم **وفي الموطا** من رواية يحيى الليثي انه كان يقف
على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه و
سلم وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي يدعو لابي بكر وعمر
قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته **قال في المبسوط** ويسلم على ابي بكر وعمر
قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي بلفظ الصلاة
ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف **وقال ابن حبيب**
ويقول اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله
عليه الصلوة والسلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته
على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني
من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع

فيها

فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت
اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزاتاك
وفي الروضة افضل **وقد** قال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتي ومنبري
روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم يقف
بالقبر متواضعا متوقرا فيصلي عليه ويثني بما يحضرك وتسلم على
ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قبا وقبور الشهداء قال مالك
في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلم اذا دخل وخرج
يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف
بالقبر وكذلك من خرج مسافرا **وروى ابن وهب** عن فاطمة بنت
النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت
المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي و
افتح لي ابواب فضلك **وفي رواية اخرى** فليسلم مكان فليصل فيه ويقول
اذا خرج اللهم اني اسئلك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان
وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله
وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله
دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك
وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال
صلى الله عليه وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا **وفي رواية**
حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله **وفي
رواية** بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول
الله صلى عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رزقك
وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي **وقال مالك** في المبسوط وليس يلزم من
دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك

للغربا وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان
يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو
ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون
من ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا
في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويد
ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه
واسع ولا يصلح اخر الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول
هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جا
من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها
او اتوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك راي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة
والغربا لان الغربا قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم
يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه الصلاة والسلام اللهم
لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيا
مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي
فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي
العتبية يبدا بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم
حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل
فيه للغربا احب الي من التنفل في البيوت

فصل
فيما يلزم

من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه
وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة
ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان
تقوم فيه وروي ان النبي صلى الله عليه والسلام سيل اي مسجد

هو

هو قال مسجدي هذا وهو قول بن مسيب وزيد بن ثابت وبن عمر
ومالك بن انس وغيرهم وعن بن عباس انه مسجد قبا حدثنا هشام
ابن احمد الفقيه بقراتي عليه قال ثنا الحسن بن محمد الحافظ ثنا
ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المومن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا
ابو داود ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال
الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى
وقد تقدمت الاثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم
وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع
عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال
ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لعلوتك با
لدرة ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان
يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشي من الاذى وان ينزه عما يكره قال المؤلف
رحمه الله حكى ذلك كله القاضي اسماعيل في مبسوطه في باب مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم والعلما كلهم متفقون ان حكم ساير المساجد
هذا الحكم قال القاضي اسماعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الر
سول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم
وليس مما تخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية
في مساجد الجماعات وقال ابو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام صلاة
في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي
اختلف الناس في معنى هذا الاستثنا على اختلافهم في المفاضلة بين مكة
والمدينة فذهب مالك في رواية بن شهاب عنه وقاله ابن نافع صاحبه
وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة في مسجد الرسول افضل

من الصلاة في ساير المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون
الالف واحتجوا بما روي عن بن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام
خير من ماية وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على
مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومالك
واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطا
وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي
وحملوا الاستثنا في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلاة في المسجد الحرام
افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه
وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من
الصلاة في مسجدي هذا بماية صلاة وروى قتادة مثله فياتي فضل
الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في ساير المساجد بماية الف
ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي
الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لساير المساجد ولا يعلم منه
حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان التفضيل انما هو في صلاة
الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال
وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد
الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال
عليه الصلاة والسلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي خبر
آخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما
ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما يبينه بين
حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا
الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته
اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينهما خلاف لان قبره في حجرته وهو

بجنبه

بجنبه وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في
الدنيا وهو الاظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره
والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه
قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه
موجب لذلك وان الدعا والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل
الجنة تحت ظلال السيوف والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون
في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوايها وشدتها
احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة وقال يحمل عند المدينة
والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال ان المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع
طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه
وروي عنه عليه الصلاة والسلام من مات في احد الحرمين حاجا
او معتمرا بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق اخر
بعث من الامنين يوم القيامة وعن ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة
فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من
الطلب من احدث حدثا في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت
مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني
بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل
فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال
حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث
حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك
وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام ما من احد يدعو
الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه

الصلاة والسلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وحشر يوم القيامة من الامنين قرات على القاضي الحافظ ابي
علي رحمه الله حدثك العباس العذري قال ثنا ابو اسامة محمد بن
احمد بن محمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن
بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت
سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشي في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي
وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشي في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله
بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي
وانا فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا
استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما
دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن ادريس الا استجيب لي
قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيا وانا فما دعوت الله
بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي
من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري وانا فما دعوت
الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال
ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشيا كثيرة استجيب لي بعضها وارجو
من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا
من هذه النكت في هذا الفصل وان لم من الباب لتعلقها بالفصل الذي
قبله حرصا على تمام الفايد والله الموفق للصواب برحمته ه

القسم الثالث فيما يجب

فيما

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع
او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل الاية وقال ما المسيح
بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان
الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد صلى
الله عليه وسلم وساير الانبيا من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك
لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال تعالى ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم
مخالطتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورويته اذا كان على
صورته وقال قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمينين لنزلنا عليهم
من السما ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو
من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته
كالانبيا والرسل وسايط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله
وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم
متصفة باوصاف البشر طاري عليها ما يطرا على البشر من الاعراض
والاسقام والموت والفنا ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم
متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملا الاعلى متشبهة
بصفات الملايكة سليمة من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية
ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة البشرية كظواهرهم
لما اطاقوا الاخذ عن الملايكة ورويتهم ومخاطبتهم كما لا يطيقه غيرهم
من البشر ولو كانت اجسادهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملايكة وبخلاف
صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول
الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة

الارواح والبواطن مع الملايكة كما قال عليه الصلوة والسلام لو كنت
متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال
اني لست كهيئتكم اني اظل عند ربي يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة
عن الافات مطهرة عن النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي
بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ناتي به
بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل ۵

الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية

بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وساير الانبيا صلوات الله
عليهم اجمعين قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان الطوري
من التغييرات والافات على احاد البشر لا يخلو ان تطرا على جسمه وعلى حواسه
بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرا بقصد واختيار وكله
في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع
عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرا عليهم
الافات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي
صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة
البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم
وتنزيهه عن كثير من الافات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما
سننبيه ان شا الله تعالى فيما ناتي به من التفاصيل ۵

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم ۵

من وقت نبوته قال المولف منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق
التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية
المعرفة وصريح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشي من ذلك او الشك

او

او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما
وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في
عقود الانبيا سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه السلام
قال بلى ولكن ليطمين قلبي اذ لم يشك ابراهيم في اخبار الله تعالى له باحيا
الموتي ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحيا
فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته
الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه
واعلم اجابته دعوته بسوال ذلك من ربه ويكون قوله اولم تومن اي تصدق ف
بمنزلتك مني وخلتك واصطفايك الوجه الثالث انه سال زيادة يقين
وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية
قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات يمتنع ويجوز
في النظريات فاراد الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم
اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال
كشف غطا العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه
لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح
احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سوال على طريق الادب
المراد اقدرني على احيا الموتي وقوله ليطمين قلبي عن هذه الامنية الوجه
السادس انه اري من نفسه الشك وما شك ولكن ليجاوب فيزداد قربه
وقول نبينا عليه الصلوة والسلام نحن احق بالشك من ابراهيم نفي لان
يكون ابراهيم شك وابعاده للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اي
نحن موقنون بالبعث واحيا الله الموتي فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه
اما على طريق الادب وان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع ضع
والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت
فما معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسيل الذين يقرون الكتاب
من قبلك الايتين فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه

بعض المفسرين عن بن عباس وغيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه
وسلم فيما اوحى اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد
قال بن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسل ونحوه
عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى
الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الاية قالوا وفي
السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه
وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره
ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هولاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه
يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو عليه الصلوة والسلام
كان الكذب فيما يدعوا اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على
ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن فسل به خبيرا
المامور ههنا غير النبي صلى الله عليه وسلم والنبي عليه الصلوة
والسلام هو الخبير المسوول لا المستخبر السايل وقال ان هذا الشك
الذي في غير النبي صلى الله عليه وسلم بسوال الذين يقرون الكتاب انما
هو فيما قصه من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل
هذا قوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية المراد به
المشركون والخطاب مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي
وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم
ابتدا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون الى اخر الاية على طريق الانكار
اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبيا
ليلة الاسرا عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السوال فروي انه
قال لا اسال قد اكتفيت قاله بن ابي زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاهم
بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد

محمد

محمد والذي قبله اعلامه بما بعث به الرسل وانه تعالى لم ياذن في عبادة
غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله
وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون
ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترا يا محمد في ذلك فلا تكونن من
الممترين بدليل قوله اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى
الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى أانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في
شك قيل فسل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك
فيما شرفناك واعطيناك وفضلناك به فسالهم عن صفتك في الكتب
ونشر فضايلك هو حكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من
غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استياس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا على قراة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عايشة
معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما
استياسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا
اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على الاتباع والامم لا
على الانبيا والرسل وهو قول بن عباس والنخعي وبن جبير وجماعة
من العلما وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك
من شاذ التفسير بسواه بما لا يليق بمنصب العلما فكيف بالانبيا
وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبدا الوحي من قوله لخديجة
لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد روية
الملك ولكن لعله خشي ان تحتمل قوته ومقاومة الملك واعبا الوحي
لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا ما ورد في الصحيح انه قاله بعد
لقاية الملك او يكون ذلك قبل لقاية الملك واعلام الله تعالى له با

لنبوة

لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر وبداته
المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان
اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تانيسا له عليه الصلوة و
السلام ليلا يفجاه الامر مشاهدة ومشافهة فيحتمله لاول حالة
بنية البشرية وفي الصحيح عن عايشة اول ما بدي به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة قالت ثم حبب اليه
الخلا وقالت الى ان جاه الحق وهو في غار حرا الحديث قال بن عباس
مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمسة عشر سنة يسمع
الصوت ويري الصوت سبعة سنين ولا يري شيا وثمان سنين يوحى اليه
وقد روي ابن اسحاق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال وذكر جواره بغار حرا قال فجاني وانا نايم فقال اقرا وذكر نحو حديث
عايشة في غطه له واقرايه اقرا باسم ربك السورة قال فانصرف
عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من
شاعر او مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق
من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلها فبينما انا عامد لذلك
اذ سمعت مناديا ينادي من السما يا محمد انت رسول الله وانا جبريل
فرفعت راسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين
في هذا ان قوله لما قال وقصده لما قصد انما كان قبل لقا جبريل عليهما
السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره واصطفايه له بالرسالة
ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه الصلوة والسلام قال لخديجة
اني اذا خلوت وحدي سمعت ندا وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر
ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي عليه الصلوة والسلام قال
لخديجة اني لاسمع صوتا واري ضوءا واخشي ان يكون بي جنون وعلى
هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون
والفاظا يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في

ابتدا امره وقبل لقا الملك له واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض
هذه الالفاظ لا يصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقايه
للملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد
روي ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يرقي بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران اصابه
نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال
اما الان فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف راسها
الحديث انما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة النبوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها
فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك
بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام
عن ابيه عن عايشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك
وفي حديث اسماعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذ جاءك قال نعم فلما جاء جبريل
اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما
هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل على انها ه
مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه
وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا
حزنا غدا منه مرارا كي يتردي من شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل
لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله
عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه
فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث ويصحح معنى هذا التاويل
حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله

ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه
وسلم واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في
ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف
ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه
ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس
عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب
وقول الله في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه
قال المكي طمع في رحمة الله وان لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه
ما اصابه وقد قري نقدر عليه بالتشديد وقيل نواخذه بغضبه وذهابه
وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن
بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما
لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمومنين
فكيف بالانبيا وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما
ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به التوجه الى امر امره الله به
على لسان نبي اخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج
لذلك مغاضبا له **وقد روي** عن ابن عباس ان ارسال يونس
ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الاية بقوله فنبذناه بالعرا
وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الاية ويستدل ايضا
بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من
الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه
الصلوة والسلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي
طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا
الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه الصلوة والسلام بل اصل
الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السما

وهي

وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شيء يغطي القلب ولا يغطيه كل
التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوى ولا يمنع ضوء الشمس وكذلك
لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة
في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما
هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما
كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة
الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه
من اعبا الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة
خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة
واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه
وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى
عليه الصلوة والسلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من
علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى
وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا به مال كثير من الناس وحام
حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه
وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ
على ما سياتي **وذهبت** طايفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة
ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز
عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من
امر امته عليه الصلوة والسلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم
فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه
لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه الصلوة
والسلام عندها اظهار العبودية والافتقار وقال ابن عطا استغفاره
وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره ويستشعرون الحذر

ولابد كون الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاعانة حالة خشية
واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته
كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الا
خيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام
انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت
فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه الصلوة والسلام ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله تعالى لنوح عليه السلام
فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه
لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا عليه الصلوة والسلام
لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه
اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود
وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس
في اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها
فكيف واية نوح قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما
قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء
فنهاه الله ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب
لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك امر نبينا بالتزام الصبر على
اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه
ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه
ابو محمد مكي وقال مثله في القران كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه
بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء
من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه الصلوة والسلام على ذلك ان
فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة
الاية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك

عن

عن سبيل الله وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت
رسالته وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله
واياك انه عليه الصلوة والسلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ
وان لا يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يتقول على الله ما لا يجب
او يفتري عليه او يضل او يختم الله على قلبه او يطيع الكافرين لكن
يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن
بهذا السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله
يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون لا تخافا لتشتد بصائرهم
في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس
واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة
فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله
وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك فالمراد غيره كما قال ان
تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله ان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت
ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى
الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه
انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الاية وما كان طردهم عليه الصلوة والسلام ولا كان من الظالمين

فصل واما عصمتهم قبل النبوة

من هذا الشيء قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون
قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء وقد تعاضدت الاخبار
والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التو حيد
والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا على
ذلك في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من الاخبار
ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب

النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول
ان قريشا قد رمت نبينا بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياها بكل ما امكنها
واختلقته مما نص الله عليه ونقلته الينا الرواة ولم نجد في شي من ذلك
تعييرا لواحد منهم برفضه الهتهم وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم
عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين
وكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن
تركهم الهتهم وما كان يعبد اباوهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه
دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم
سكتوا عنه تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما
حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزههم عن هذا
بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الاية وبقوله واذ اخذ الله
ميثاق النبيين الى قوله لتومنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق
وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به
ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه
الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه
صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة
وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدا ولا يشبه عليك بقول ابراهيم في الكوكب
والقمر والشمس هذا ربي فانه قد كان هذا في سن الطفولية وابتدا النظر والا
ستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذق من العلما والمفسرين الى انه
انما قال ذلك تبكيتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الانكار والمراد افهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم
كما قال اين شركاي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيا من ذلك ولا اشرك
قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه ان قال لابيه وقومه ما تعبدون
ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
وقال اذ جا ربه بقلب سليم من الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان

قلت

قلت فما معنى قوله لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه لم
يهدني اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو
معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله فلا تشكل عليك لفظة العود
وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في
كلام العرب لغير ما ليس له ابتدا بمعنى الصيرورة كما جا في حديث الجهنميين عادوا
حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك
فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو
الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال
فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد
وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا
كان عليه الصلوة والسلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه
ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا
تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن
عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل اي بين امرك بالبراهين
وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك
فهدى بك ضالا وعن جعفر ابن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل
اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن ابن علي ووجدك ضال
فهدى اي اهتدى بك وقال ابن عطا ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا
في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها في
ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك
فهداك لبيانه كقوله وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل وجدك ضالا لم يعرفك
احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعدا ولا اعلم احدا قال من المفسرين

فيها حسنا الا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها
اذا وانا من الضالين اي من المخطيين الفاعلين شيا بغير قصد قاله ابن
عرفة وقال الازهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك
ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما فان قلت فما معنى
قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه
ما كنت قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان الذي هو القراءة يعني
والاحكام قال فقد كان قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها
قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تعالى وان
كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله تعالى والذين هم عن اياتنا
غافلون بل ما حكى ابي عبيد الهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف
اذ لم يعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة
بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين
مشاهدهم فيسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم
خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم
بعد هذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع
وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير
متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف من النبي صلى الله عليه وسلم
خلافه عن اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في الحديث الاخر الذي
روته ام ايمن حين كلمه عمه واله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه
فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها
من صنم تمثل لي شخص ابيض طويل يصيح بي وراك لا تمسه فما شهد بعد لهم
عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات
والعزى اذ لقيه في الشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي ورووا فيه
علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسالني
بهما فوالله ما ابغضت شيا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتني

عما

عما سالتك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه الصلوة
والسلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في
الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام بلغ

فصل

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد
والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود
قلوبهم فجماعها انها مملوة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم
بامور الدين والدنيا ما لا شي فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل
ما قلناه وجده وقد قدمناه منه في حق نبينا في الباب الرابع في اول قسم من هذا الكتاب
ما ينبه على ما وراه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا
فلا يشترط في حق الانبيا العصمة من عدم معرفة الانبيا ببعضها او اعتقادها
على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها
وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا
الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين
هذا في الباب الثاني ان شا الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيا من
امر الدنيا فان ذلك يودي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد
ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم
ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبيا و
سيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان
هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه جهله
جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده عن وحي من الله فهو ما لا يصح
الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له علم اليقين او يكون
فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شي على القول بتجويز وقوع الاجتهاد
منه فيه ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة

اني انما اقضي بينكم براي فيما لم ينزل فيه شيء خرجه الثقات وكقصة
اسرى بدر والاذن للمتخلفين على راي بعضهم فلا يكون ايضا ما
يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا
يلتفت الى خلاف من خالف فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي
هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق في طرف واحد
لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات
ولان القول في تخطية المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي واجتهاده
انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى
الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان
لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيا شيا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي حي
من الله وقد كان ان ينتظر الوحي في كثير منها ولكن لم يمت حتى استفرغ علم
جميعها عنده عليه الصلوة والسلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع
الشك والريب وانتفا الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع
الذي امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق به
يعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمايه الحسنى واياته
الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقيا وعلم ما كان
ويكون مما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا ياخذه فيما
اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم
بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر
لقوله اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر هل اتبعك على ان
تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك باسما يك
الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم سميت به
نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق
كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله وهذا

مما

مما لا خفا فيه اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد
قلب النبي في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية ٥

فصل واعلم ان الامة مجمعة

على عصمة النبي من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على
خاطره بالوسواس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله ان ابو الفضل
ابن خيرون المعدل ثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني
ثنا اسماعيل الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا
سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا
وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملايكة قالوا واياك يا رسول الله قال
واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني
الا بخير وعن عايشة بمعناه فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم
هذه الرواية ورجحها وروى فاسلم بفتح الميم يعني القرين انه انتقل عن حال الكفر الى الا
سلام فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط
على بني ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت
اثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفا نوره وامانة نفسه وادخال ل
شغل عليه اذ يئسوا من اغوايه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه
النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة عنه عليه الصلاة و
السلام ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي
الصلاة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا
تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي الاية فرده الله خاسيا وفي حديث ابي الدردا عنه عليه الصلوة والسلام
ان عدو الله ابليس جاني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم
في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح

موثوقا بتلاعب به واذان اهل المدينة وكذلك في حديثه في الاسرا وطلب
عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره في الموطا ولما لم يقدر على
اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل
النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم
بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الآ ية
ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره
وشره وقد قال عليه الصلاة والسلام ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجا
ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه الصلوة والسلام
لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن
ليسلطها علي فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله الآية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن
الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم
فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني
وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى
انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى
وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب
تمام عصمته اذ لم يسلط عليه اكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل
في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك
ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك
النبي ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له
او ببرهان يظهر لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل
فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الآية فاعلم ان للناس في هذه الآية اقاويل منها السهل والرث و
السمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني هنا
التلاوة والقاء الشيطان فيها شغله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي

حتى

حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين
من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم ايا ته
وسياتي الكلام على هذه الآية بعد باشبع من هذا ان شاء الله وقد
حكى انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته
عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن
قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني
مسني الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذ ي
امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم
قال مكي وقيل ان الذي اصابه من الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت
فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن يوسف فا نساه
الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه الصلوة والسلام حين نام عن الصلاة
يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا
من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام
العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه
روس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان
وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت
نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما نبي بعد
موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران وقصة
يوسف قد ذكر انها كانت قبل موته وقد قال المفسرون في قوله فانساه
الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه
السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان فليس فيه تسلط على يوسف
ويوشع بوسواس ونزغ وانما هو يشغل خواطرهما وتذكرهما من امورهما ما
ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه الصلوة والسلام ان هذا واد به شيطان
فليس فيه ذكر تسليطه عليه ولا وسوسة له بل ان كان بمقتضى ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما

يهدي الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على
بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واديه شيطان تنبيها
على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوا دي
وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به
في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله

فصل

واما اقواله صلى الله عليه وسلم

فقامت الدلايل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان
طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به
لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل
المعجزة القايمة مقام قول الله صدق رسولي فيما قال اتفاقا وباطباق اهل
الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فهذه السبيل عند الاستا ذ ابي
اسحاق الا ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورد الشرع بانتفاذ ذلك
وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني
ومن وافقهم لاختلاف بينهم في دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب
فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في
ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من جهة لا على
وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضى والسخط والصحة والمرض
وفي حديث عبد الله بن عمر قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمعه منك
قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد
ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه
وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قايمة مقام قول الله له
صدقت فيما تذكر عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به
اليكم ولابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد
جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه

كان

كان ولو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالبا طل
فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قال ابو اسحا ق

فصل

وقد توجهت ههنا

لبعض الطاعنين سوالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قرا سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك
الغرانيق العلا وان شفاعتها لترتجى ويروى لترتضى وفي رواية ان شفا
عتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلا وفي اخرى والغرانقة العلا تلك الشفا عة
ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه
اثنى على الهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان
النبي عليه الصلاة والسلام كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب
بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه
وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين
قال له ما جيتك بهذا فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله
تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية وقوله وان
كادوا ليفتنونك فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث
ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول
فيكفيك ان هذا الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة
بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون
بكل غريب المتلقفون من الصحف كل سقيم وصحيح وصدق القاضي بكر بن
العلا المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهوا والتفسير
وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسنا ده
واختلاف كلماته فقايل يقول انه في الصلاة واخر يقول قالها في نادي قومه
حين انزلت عليه السورة واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول

ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها
على جبريل قال ما هكذا اقراتك واخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى
الله عليه وسلم قراها فلما بلغ النبي ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك
من اختلاف الروايات ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين
لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها
ضعيفة واهية والموقوع فيه حديث بن عباس فيما احسب الشك في الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث
لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا
هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير
وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه
الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه
مع وقوع الشك فيه كما ذكرنا الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث
الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار
رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا والنجم وهو بمكة
فسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن توهينه من طريق النقل فاما
من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم
ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من
مدح الهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القران
حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القران ما
ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه
الصلوة والسلام او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك
كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته
عليه الصلوة والسلام جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا
او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه
سبيل او يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول

علينا

علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية
ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان
كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التا ليف
والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل ممن رجح علمه واتسع
في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة
المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل
فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في
قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة
شيا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش
بها على المسلمين صولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في
قصة الاسرى حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي
في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغب
للمعادي حينيذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها
كلمة ولا عن مسلم بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك
في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين
ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة في هذه القصة
ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان ترداد
الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه
لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من
ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبار هم
الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه الصلوة
والسلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي
تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الاية

الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم ان يضلوك
وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس
كل ما في القران كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب
بالابصار ولم تذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي
ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه
الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الر
سول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله
على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق في الاية الا ان الله امتن على
رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا
من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية واما
ماخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن
على ذلك من حال فقد اجاب على ذلك ايمة المسلمين باجوبة منها الغث و
السمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة
عند قراته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ
لا يجوز على النبي مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي
الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو
وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان
على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر
بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه الصلوة و
السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي
صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول له
ابراهيم هذا ربي على احد التاويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت
بين المفصل بين الكلام ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض
على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع

والذي

والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا
ويفصل الاي تفصيلا في قراته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي
صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من
قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين
لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى
الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها على ما عرف منه وقد حكى موسى
ابن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان
ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه
وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون
الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه و
يزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه
وسلم من السهو اذا قرا فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في
الاية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد
الرحمن نحوه وهذا السهو في القراة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل
الالفاظ وزيادة ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة
ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما نذكره في
حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا
روى هذه القصة والغرانقة العلا فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان
قرانا والمراد بالغرانقة العلا وان شفاعتهن لترتجى الملايكة على هذه الرواية
وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملايكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الا
وثان والملايكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة
بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجا الشفاعة

من الملايكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم
الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم فنسخ الله ما القى الشيطان واحكم
اياته ووقع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما
نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك
حكمة وفي نسخة حكمة ليضل به من يشاء ويهدي به من يشاء وما يضل به
الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقا سية
قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق
من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا
هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار انيا في
بشي من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى
الله عليه وسلم ولشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل للشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا
ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم
وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين للناس
الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو
وضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الاية ومن ذلك
ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه
فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا
فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في الباب ان يونس قال لهم ان
الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعا ليس بخبر يطلب صدقه من
كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله
عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي الاية ويروى في الاخبار انهم راوا دلايل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود
وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى
ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم

ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي
عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له
النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شيت
ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شيت وفي
الصحيح ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد
وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل
للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع
في قلب مومن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم
فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل
يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو وكافر مبغض للدين مفتر على
الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شا هد
ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واوليك هم
الكاذبون ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه
وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا
طعن في نظم القران وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له
عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فهو فسبقه
لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها
اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها
بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما
يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا الكلام
الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا
سورة وكذلك قوله عليه الصلوة والسلام ان صح كل صواب فقد يكون
هذا فيما كان يحتمله من مقاطع الاي وجهان وقراتان انزلتا جميعا على النبي
صلى الله عليه وسلم فاملى احدهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته
بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه

فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في مقاطع الاي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراة الجمهور وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جات على وجهين غير القرا فقراهما معا الجمهور وثبتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القران فيصف الله ويسميه في ذلك كيف شاء

فصل

هذا القول فيما

فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا يضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شي من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة في جميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شي وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شي منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم بقوله كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره واثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصا تفاصيلها ولم يرد في شي منها استدراكه عليه الصلوة والسلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شي اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه الصلوة والسلام رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان

ذلك

ذلك راي لا خبر وغير ذلك في الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وكقوله انكم تختصمون الي الى اخر الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا الباب من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شي من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ترك المحدثون والعلماء الحديث عن من عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شي من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل العصر من النبي صلى الله عليه وسلم في قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك

صحة ما اشرنا اليه

فصل

فان قلت

فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر ثنا القاضي الاصبغ بن سهل ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو عبد الله بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن

ابي سفيان مولى ابن احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول على رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة العصر فسلم من ركعتين فعلم ذو اليدين فقال يا رسول الله
اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك
لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي
الحالتين وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك
يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلما في ذلك اجوبة بعضها بصدد الا انصاف
ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول بتجويز الوهم والغلط
فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زمیناه من القولين فلا اعتراض
بهذا الحديث و واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى وبي انه
في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا
قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسن لمن اعتراه
مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في
الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان
النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق
باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه
لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق
ايضا وجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت
عن العدد اي لم انسه في نفسه السلام وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها
ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر
والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلاف الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله
ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه
محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ
الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية
كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر لست انسي ولكن انسي ولكني انسي

فلما قال له السائل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما ... ونسيانه هو من
قبل نفسه وانه ان كان جرى شي من ذلك فقد نسي حتى سال غيره عنه فتحقق
نسي واجري عليه ذلك ليس فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن
صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر استنرته من كلام
بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى
ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو انما هو شغل
قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها و
كان يشغل عن حركات الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على
المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قول ووجه اخر ان ما قصر
الصلاة وما نسيت بمعنى الترك وهو احد الوجهي النسيان اراد اني لم اسلم من
ركعتين تاركا لكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن من تلقا نفسي والدليل على
ذلك قوله انما لانسى او انسى لاسن والله الموفق للصواب واما قصة كلمات ابراهيم
عليه السلام المذكورة في الحديث انه كذبا الثلاث المنصوصة في القرآن منها
اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي
فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي
داخلة في الباب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال
الحسن وغيره معناه سا سقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من
الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب
بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم
فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل خبر صحيح صدق وقيل بل
عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا
يشتغلون بها وانه اثنا نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم
ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله تعالى
باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقد منا بيانه

واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان
كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا
خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الا سلام
وهو صدق والله تعالى يقول انما المومنون اخوة فان قلت فهذا النبي
صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا
ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم
بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات
ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام عن
مواخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة
ورى بغيرها فليس فيه خلف من القول انما ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه
حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السوال عن موضع اخر والبحث عن اخباره و
التعريض بذكره لانه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا
خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما
معنى قول موسى عليه السلام وقد سول اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله
عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال عبد لنا بمجمع البحرين اعلم
منك وهذا خبر قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان
جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الا خر
فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفا تقتضي
ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه
وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد وامور
الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلم
احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى
اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى
وعلمناه من لدنا علما وعتبه الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكارا هذا

القول

القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا
او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ
كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح
الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه
عن هذه الرذائل الانبيا فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله
فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه الصلاة والسلام
تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج
القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما
الانبيا فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن
ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما
علمنا انه كان في زمن موسى نبي غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار
في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص
وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى
اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما الجي موسى الى الخضر للتا ديبا للتعليم

فصل واما ما يتعلق بالجوارح

من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام
ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة
واجمع المسلمون على عصمة الانبيا من الفواحش والكباير الموبقات ومستند
الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها
غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحاق
وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان
كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة واما
الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا وهو مذهب ابي جعفر الطبري
وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به

وذهبت طايفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم وما
ياتي في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طايفة اخرى من المحققين
من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا
لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن
عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغيرة
بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب كونه كبيرة
قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيرة الا
على معنى انها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير
اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي والمشية في العفو عنها الى الله وهو قول القاضي
ابي بكر وجماعة ايمة الاشعرية وكثير من ايمة الفقها وقال بعض ايمتنا ولا
يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها ان يلحقها
ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت
الازرا والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبيا اجماعا لان مثل هذا
يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبيا
منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه
بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من موا قعة
المكروه قصدا وقد استدل بعض الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى
امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا
عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج
عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا
وقول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية
واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طايفة الى الاباحة وقيد بعضهم الا
تباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة
في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس
كل

كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية
ولا يصح ان يومر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على
القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغاير ومن
نفاها عن نبينا عليه الصلوة والسلام مجمعون انه لا يقر على منكر من قول
او فعل وانه متى راى شيا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه
فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم نجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا
الماخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل وان الحظر او الندب على الاقتدا
بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة لا
قطعا الاقتدا بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كا
قتدا باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع
واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضا حاجته مستقبلا بيت المقدس
واحتج غير واحد منهم في غير شي مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا خبرتيها اني اقبل وانا صايم وقالت
عايشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه الصلوة
والسلام على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشا وقال اني
لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والاثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها
لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداهم بها ولو جوزوا
عليه المخالفة في شي منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك
ولما انكر عليه الصلوة والسلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه ه

واما المباحات فجايز وقوعها منهم اذ ليس فيه قدح بل هي ماذون
فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من
رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق الهمم
بالله والدار الاخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به
على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل
التحق طاعة وصار قربة كما بيناه اول الكتاب طرفا في شمايل نبينا عليه الصلوة

والسلام فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم الصلوة
والسلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل وقد اختلف في عصمتهم

من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله
تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة تصورها
كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في
حال نبينا عليه الصلوة والسلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا الشرع قبله ام لا
فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير
موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر
والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب
سيف السنة ومقتدي فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل
وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره
في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة
ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا
قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح
وهي طريقة غير سديدة فاستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر
اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه الصلوة والسلام وترك
قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان
عندها في احدها طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه
كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم
عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه
المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها
ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من

ذلك

ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبيا
فلزمت شريعته من جا بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه
لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه الصلوة والسلام ولا حجة ايضا
للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللاخرين في قوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعثه ولم يكن له شريعة
تخصه كيوسف ابن يعقوب على من يقول انه نبي ليس برسول وقد سمى الله تعالى
جماعة منهم في هذه الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينهما فدل ان
المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم
من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا او يخالفون اما من منع
الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور
وتقرر له اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله
يلتزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل هذا حكم

ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما معصية ويدخل
تحت التكليف وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف
الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال
الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على
نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل
واخذهم باتباعهم فيه وما هو خارج من هذا مما يختص بنفسه اما الاول
فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق
على امتناع ذلك في حق النبي عليه الصلوة والسلام وعصمته من جوازه عليه قصدا
وسهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا
سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها
يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات

تذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحاق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين
الى ان المخالفة فى الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه
جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو فى الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الا
قوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق فى القول ومخالفة ذلك تناقضها
واما السهو فى الافعال فغير مناقض لها ولا قادح فى النبوة بل الخطاء الفعلى و
غفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه الصلوة والسلام انما انا بشر انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكرونى نعم بل حالة النسيان والسهو هنا فى حقه
عليه الصلوة والسلام الى لا انسى او انسى لاسن بل قد روى لست انسى ولكن
انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له فى التبليغ وتمام عليه فى النعمة بعيدة
عن سمات النقص واعراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل
لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو
الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان
الاحكام من افعاله عليه الصلوة والسلام وما يختص به من امر دينه واذكار
قلبه بما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو
والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من
مقاسات الخلق وسياسات الامة ومعانات الاهل وملاحظة الاعداء ولكن
ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه الصلوة
والسلام انه ليغان على قلبى فاستغفر الله وليس فى هذا شىء يحط من رتبته
ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات
فى حقه عليه الصلوة والسلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب
علم القلوب والمقامات ولهم فى هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى

فصل في الكلام على الاحاديث

المذكور فيها السهو منه عليه الصلوة والسلام قد قدمنا فى الفصول قبل هذا
ما يجوز فيه عليه السهو عليه الصلوة والسلام وما يمتنع واحلناه فى الاخبار

جملة

جملة وفى الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه فى الافعال الدينية على
الوجه الذى رتبناه واشرنا الى ما ورد فى ذلك ونحن نبسط القول فيه
الصحيح من الاحاديث الواردة فى سهوه عليه الصلوة والسلام فى
الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث ذى اليدين فى السلام فى اثنتين الثانى
حديث ابن بحينة فى القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبى صلى
الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو فى
الفعل الذى قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ فى الفعل اجلى منه بالقول
وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس
وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو فى الفعل فى حقه عليه
الصلوة والسلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح فى التصديق وقد قال عليه
الصلوة والسلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى وقال رحم الله
فلانا لقد اذكرنى كذا وكذا آية كنت اسقطهن ويروى انسيتهن وقال عليه الصلوة
والسلام انى لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوى وقد روى
انى لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك
وان معناه التقسيم اى انسى انا او ينسينى الله قال القاضى ابو الوليد الباجى يحتمل
ما قاله ان يريد انى انسى فى اليقظة وانسى فى النوم او انسى على سبيل عادة البشر
من الذهول عن الشىء والسهو او انسى مع اقبالى عليه وتفرغى له فاضاف احدا
النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه اذ هو فيه
كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعانى والكلام على الحديث الى ان النبى صلى
الله عليه وسلم كان يسهو فى الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة
وآفة قال والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه
الصلوة والسلام يسهو فى صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما فى الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله فى الرواية الاخرى انى لا انسى وذهبت
طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه الصلوة والسلام كان
عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل

لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة
النسيان ليستن لقوله اني لا انسى او انس وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة
التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم
من المحققين من ايمتنا وهو ابو المظفر الاسفراييني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه
ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان
بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان
يقول نسيت اية كذا او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها
عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها و
شغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم
الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز
تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب
الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت
فما تقول في نومه عليه الصلاة والسلام يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه
عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره
خلاف عادته ويصحح هذا التاويل قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث
نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط
ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار
شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن
بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي
انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا
يتوضى وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه
مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة
الاهل او لحدث اخر فكيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه
ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه

في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن روية الشمس وليس هذا
من فعل القلب وقد قال عليه الصلوة والسلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها
علينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال
اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه الصلوة والسلام
التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لمن نامت عيناه اذ هو ظاهر يدرك
بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل
بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه الصلاة والسلام
اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية
كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن
ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ نقله من القران اي ان الغفلة
في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من
سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه
صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والا
خر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه الصلوة والسلام لما
اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى
عباده ثم يستذكرها من امته قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه
من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله كره ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط
حكما ما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليف بلاغه

فصل
في الرد

على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين
للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف

وكلما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتما
في مقتضاه وجات اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك
فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقا مت
الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح
وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شا الله فمن ذلك قوله تعالى لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وقوله استغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وقوله ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا
كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى
ان جاه الاعمى الاية وما قص من قصص غيره من الانبيا كقوله وعصى
ادم ربه فغوى وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا الاية وقوله عنه
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين
وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب الى قوله ماب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته
مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
وقوله النبي صلى الله عليه وسلم في دعايه اغفر لي ما قدمت واخرت و
اسررت واعلنت ونحوه من ادعيته عليه الصلوة والسلام وذكر الانبيا في
الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي
حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله
تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني الاية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا
انهم مغرقون وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي يوم الدين وقوله عن
موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما
احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف فيه
المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب
وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والتاخر عصمتك

بعد

بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل
حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من
ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله
يتاول قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات قال مكي مخاطبة
النبي صلى الله عليه وسلم ههنا مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وبما للمومنين
في الاية الاخرى بعدها قال ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك
غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة ههنا تبرية من العيوب
واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف
من ذلك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل
معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكا
معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعبا الرسالة حتى
بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية
حكاه مكي وقيل ثقل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك
لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عنك ما حملت
بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون ن
المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم
بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت
عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب ب
لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل
قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه
واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه
وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية بل
لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حا شاه الله

من ذلك بل كان مخيراً في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شا فيما لم ينزل
عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى له فاذن لمن شيت منهم فلما اذن لهم
اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه
لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم
ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف
العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها
تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي
ان معناه عافاك الله واما قوله في اساري بدر ما كان لنبي ان تكون له اسرى
الاية فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به
وفضل من بين ساير الانبيا فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه
الصلوة والسلام احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريد ون
عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض
الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم
ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون
يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي عمر ان
يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في
معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب
السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد هذا القول تفسيرا نا
بانه يقال لولا ما كنتم مومنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما
عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم
فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال
الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه الصلوة والسلام
قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام

الى

الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى
ان شاوا القتل وان شاوا الفدا على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا
ويقتل منا هذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم
مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك
وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى
نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه الصلوة والسلام في هذه القصة لو نزل من السما
عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه
منه عمر في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القصة لو استوجبت عذابا نجا
ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا
لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن
فيه النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه
وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلا اخبر الله نبيه في هذه الاية ان
تاويله وافق ما كتب له من احلال الغنايم والفدا وقد كان قبل هذا فادوا في سرية
عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله
ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه
وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم
لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته
بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب
هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى الاية فليس فيه اثبات ذنب له عليه الصلوة
والسلام اعلام الله ان ذلك التصدي له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان
لو كشف له حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم
لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه
الله له لا معصية ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين
وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل
اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام

واما قصة ادم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه
تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا فا تعالى ذالله
قد اخبر الله بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له
عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله
ان هذا عدو لك ولزوجك الاية قيل معنى ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس
انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلا لا
لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا
يحلف بالله حانثا وقد روي عذر ادم بمثل هذا في بعض الاثار وقال
ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمومن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخا لفة
فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم
هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى
وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ل
ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال
الشيخ ابو بكر ابن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى
وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهد ية
كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه
تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك
التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال
فقد قال الله تعالى وعصى ادم وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة
ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه
مجملا اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يوسف فقد مضى الكلام عليها
انفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيها ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا
عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما
وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا

يقتلون

يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم
الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه
وقوله اذ ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين
فالظلم وضع الشي في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنب فاما ان
يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه
وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يواخذ وقال الواسطي معناه نزه ربه عن الظلم واضاف
الظلم لنفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا اذ
كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض
واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون
عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شي
من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود
انما فتناه الى قوله وحسن ماب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب
قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود ود
على ان قال للرجل انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه
عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا هو الذي ينبغي ان يعول عليه من امره
وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد
وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد
الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف الى داود في الاخبار
من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين وقيل ان الخصمين
الذين اختصما اليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الاية وقال الداودي ليس في
قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم واما قصة يوسف
واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام
على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبياء قال المفسرون
يريد من نبا من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه
صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله

معناغدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قوله الله تعالى
ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقها
والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به وليست سية لقوله عليه الصلوة والسلام
عن ربه اذا هم عبدي بسية فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا
واما على مذهب المحققين من الفقها والمتكلمين فاذا الهم وطنت عليه النفس سيية
واما ما لم نوطن عليه النفس من همومها وخواطرها هو المعفو عنه وهذا هو الحق
فيكون ان شا الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابري نفسي الاية اي ما
ابريها من هذا الهم او يكون ذلك من على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس
لما زكي قبل وبري فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان
الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها
وقد قال الله تبارك وتعالى عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال
تعالى كذلك لنصرف عنه السو والفحشا وقال وغلقت الابواب وقالت
هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل في تفسيره ان ربي الله
وقيل الملك هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها
وقيل بها نظر اليها وقيل هم بضربها او دفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد
ذكر بعضهم ما زال النسا يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله فالقى عليه
هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما خبر موسى مع قتيله
الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين على دينه عون
ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله
ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل
حتى يومر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريد للقتل انما وكزه وكزة يريد بها
دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى
في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة
وما جرى له مع فرعون وقيل القاوه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك

لخلص

اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها
واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع
في اختبار ادي الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت
جاءه فلطم عينه ففقاها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام
بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جايز الفعل لان
موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة ادمي ولا
يمكن انه علم حينيذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب ب
عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى فلما جاءه
بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على
هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله
المازري وقد تاوله قديما ابن عايشة وغيره عن صكه ولطمه بالحجة وفقا عين
حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف في كلامهم واما
قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان
فمعناه ابتليناه وابتلاوه ما حكى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا
طوفن الليلة على ماية امراة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد في
سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شا الله تعالى فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة
واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لو قال ان شا الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد
الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي
على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل انه لم يستثن
لما استغرقه من الحرص وغلب عليه التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه
ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اخذ بذنب قارفه
بعض نسايه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه
على ملكه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا
وقد عصم الانبيا من مثله وان سيل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان

شا الله فتنة اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها
وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله
هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا و
لا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه
احد كما سلط عليه الشيطان سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك
وقيل اراد ان تكون له من فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره
من انبيا الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته
كالانة الحديد لابيه واحيا الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه
وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام فظاهر العذر
وانه اخذ فيها بالتاويل فظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك طلب بمقتضى هذا
اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله
عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح
وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا
التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسواله ما لم يوذن له
في السوال فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية
غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله و
اقدامه بالسوال فيما لم يوذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من
ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احر قت
امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ان هذا الذي اتى معصية بل فعل
ما راه مصلحة وصوابا بقتل من يوذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى
ان النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة
تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ند بهُ
الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولين صبرتم لهو خير للصابرين
اذ ظاهر انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه و
قطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به

بقول لا نقص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم
فان قيل فما معنى قوله عليه السلام ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن
زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم في ذنوب الانبيا التي وقعت
عن غير قصد وعن سهو وغفلة والله اعلم

فصل فان قلت

فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف
المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وما
تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبيا بذنوبهم وتوبتهم واستغفا رهم
وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من
لا شي فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو م
والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم
على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم
وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اخذوا عليها وعوتبوا
بسببها او حذروا من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل والسهو او تزيد من ا مور الدنيا
المباحة خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاصي
بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ما
خوذ من الشي الدني الرذل ومنه ذنب كل شي اي اخره واذناب الناس رذالهم
واسوا ما يجري من احوالهم لتطهرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل
الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه
في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش بما تكون با
لاضافة الى هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيات
المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيات وكذلك العصيان
الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة
وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة التي نهي عنها والغي الجهل وقيل

اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام
قد اخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه
فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه
ان يذكره لسيده الملك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف
ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني
وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسي قلبي كثرة البلوى قال بعضهم يؤاخذ الانبيا
بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به
من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبيا
يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع
فحالهم اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة
في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون زيادة لهم
في درجاتهم ويبتلون ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت اليك
اني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى
قوله وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة
كرامات وزلف واشار الى نحو ما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في
درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر
على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم
فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطا لم يكن
ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه الصلاة
والسلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب
الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبيا من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي
مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي
مغفورة لو كانت فاجابوا بان المحوج الى المؤاخذة بافعال السهو والتاويل وقد
قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبيا

على

على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على
نعمه كما قال عليه الصلاة والسلام وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وما تاخر افلا
اكون عبدا شكورا وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحرث بن اسد خوف
الملائكة والانبيا خوف اعظام وتعبد لله لانهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم
وليستن بهم اممهم كما قال عليه الصلاة والسلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وايضا في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو
استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل
والانبيا للاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والا
ستغفار فيه معنى التوبة وقد قال لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

فصل قد استبان لك ايها الناظر بما

قررناه ما هو الحق من عصمته عليه الصلاة والسلام عن الجهل بالله وصفاته
او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا
وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي
قطعا وعقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وارسله
قصدا وغير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه
عنه قبل النبوة قطعا وعن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة
السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة في كل حالاته
من رضى وغضب وجد ومزح فيجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه الضنين
وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل
ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد
في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث
لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد
ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار الهلاك ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين

اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما
ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا
فهذه اكرمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله
اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد
استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه
ويبنى عليها مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشعيب مختلفي الفقهاء في عدة
منها وهو الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من
اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره
وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة عمدا وعمدا ويحسب
اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك
العلم فلا نطول به   وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى
النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز
وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين
يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام
او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد
اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل في القول في عصمة الملائكة عليهم السلام قال القاضي رضي الله عنه

اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلا واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين
منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء
مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن
المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله
وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن
عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الآية وبقوله ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات

وذهبت

وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها
اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها
ان شاء الله فالصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من
رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة
بالفقيه الى الكلام في عصمتهم   وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة
الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة
هاهنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما
ذكر فيها اهل الاخبار ونقله المفسرون وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما
وابتلائهما   فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم
ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيء يؤخذ بقياس
والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم
فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم
كما نصه الله اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه
وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف
غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله   فاختلف اولا في هاروت وماروت
هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين
وهل ما في قوله وما انزل على الملكين وما يعلمان من احد نافية او موجبة
فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله
كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر
وتعليمهما الناس تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا
كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا
فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي
لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت
وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما
انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه

نزههما من تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذونٌ لهما في تعليمه بشريطة
ان يبينا انه كفر امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر
المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد انها
نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمن
يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين
قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعا اليهود عليهما المجئ به كما ادعوا عليه على سليمن فكذبهم الله
في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان
تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام
ويكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا
داود وسليمن ويكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله
حكاه السمرقندي والقراة بكسر اللام شاذة فمحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه
الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة
لا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم
ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا
ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة
وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا
والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم
الا اتباع الظن ومما رووه من الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان
يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار
لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا نشتغل بها

الباب الثاني فيما يخصهم صلوات عليه وسلامه

من الامور الدينوية ويطرا عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه
عليه الصلاة والسلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان
جسمه وظاهره خالص للبشر ويجوز عليه من الافات والتغيير

والالام

والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس نقيصة
فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه
وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر
بمدرجة الغير فقد مرض عليه الصلاة والسلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه
الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر
وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى
واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الا
على وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب
غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم
من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه الله كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم
يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف
فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي
جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية
وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات
ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل
الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون ن
في محنهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين
وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر
ومعاناة بني ادم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة متعلقة با
لملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى
ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره
من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن
لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه الصلاة والسلام في نومه حاضر
القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث في نومه

الرفيق الاعلى جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين

لكون قلبه بقطلت بالكلية جملته وهو عليه الصلوة والسلام قد اخبر انه لا يعتريه
ذلك وانه بخلافهم بقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ويسقيني وكذلك اقول انه
في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا
فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه

فصل
فان قلت

فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه الصلوة والسلام سحر كما حدثنا الشيخ
ابو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا محمد
ابن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبيد بن اسماعيل ثنا ابو اسامة عن هشام
ابن عروة عن ابيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل
اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء
ولا يأتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا
الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقو لها
وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في امره
لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض
مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته صلى الله عليه وسلم واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه
يفعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته
او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز
طروه عليه من امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة
للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه
كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل اليه انه يأتي اهله
ولا يأتيهن وقد قال سفين وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه
نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله وانما كانت خواطر وتخييلات
وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا

يعتقد

يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا
ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من
معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي
في الحديث تأويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس
الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن
الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه
في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله
على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروى نحوه الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب
وعمر بن الحكم وذكر عن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه
والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عائشة خاصة سنة حتى انكر بصره محمد بن سعد عن ابن عباس مرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان
وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره
وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه
وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله
ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن
اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا
اشار سفين بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى
انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث
فيظن انه رأى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه
لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرا عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر
من اصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض به انسا

فصل هذه حالة
في جسمه

فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل
اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر بخلافه او يكون منه
على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفين بن العاصي وغير وا
حد سماعا او قراءة قالوا ابو العباس احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد بن
عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري و
احمد المعقري قالوا ثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ثنا ابو النجاشي ثنا
رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون
النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه
فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به و
اذا امرتكم بشيء من رايي فانما انا بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث
اخر انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق حق
وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما
قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه و
اجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحاق انه عليه الصلوة والسلام
لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان
نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس
بمنزل انهض حتى ناتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب
ولا يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال له الله وشاورهم في الامر
واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم
رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها
ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور
اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم
مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة
الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التد قيق

في

في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر با
لنقل عنه عليه الصلوة والسلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصا لحها
وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل واما ما يعتقده صلى الله عليه وسلم في امور

واما ما يعتقده في احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من
المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا
بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له
على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما
اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ
ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا محمد بن كثير ثنا سفين عن هشام
ابن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض
فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه الصلوة والسلام على الظاهر
وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة
العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على
سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة
الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به
في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله
لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه
لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا
في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه
الامة فاجرى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر
ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه وياتون ما اتوا من ذلك على علم
ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول

وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فايدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يوثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شا ويستاثر بما شا ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته ٥

فصل وأما أقواله صلى الله عليه وسلم الدنيوية

من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضي او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم وهذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجايز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المومنين من صحابته وتاكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التي سالته عن زوجها هو الذي بعينيه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينيه بياض وقد قال عليه الصلوة والسلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشي او ينهى احدا عن شي وهو يبطن خلافه وقد قال عليه الصلوة والسلام ما كان لنبي ان تكون له خاينة الاعين فكيف ان تكون له خاينة قلب فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه

فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن الفايد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه عليه الصلوة والسلام مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليوثم نبيه فيما احل الله مثل فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه الى ما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه الا الاشقيا ولا يتسم به الانبيا قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قايله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن منه عليه الصلوة والسلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفايدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المومنين

حرج في أزواج أدعيائهم وقد قيل كان أمره لزيد بإمساكها قمعاً للشهوة ورداً للنفس عن هواها وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيداً بإمساكها وإنما تنكر تلك الزيادة التي في القصة والتطويل والتعويل والأولى ما ذكرناه عن علي ابن الحسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه قول أبو بكر بن فورك وقال إنه معنى ذلك عند المحققين من المفسرين قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك وإظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد أخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وإنما معناه الاستحياء أي يستحي منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه وأن خشيته عليه الصلوة والسلام من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن حلائل الأبناء كما كان فعاتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله له كما عتبه على مراعاة رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما أحل الله لك الآية كذلك قوله له هاهنا وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه

فصل

فإن قلت

قد تقررت عصمته عليه الصلوة والسلام في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو

ولا صحة

ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه الصلوة والسلام التي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال حدثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحاق قالوا ثنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه فقالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرُ فقال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجراً إذا هذى وأهجر هجراً إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل

لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لانه اعتقد انه يجوز الهجر حملهم الاشفاق
على حراسة سنته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا
وهي رواية ابي اسحاق المستملي في الصحيح بن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة
فقد يكون هذا رجعا الى المختلفين عنده ومخاطبة لهم من بعضهم اي جيتم باختلافكم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر الهاء
الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم
عليه الصلوة والسلام بان ياتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه
وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين فلعل قد ظهر من قراين قوله عليه
الصلوة والسلام لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم
وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه
من صواب راي عمر ثم هاولاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله
عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك
كما قال ان النبي اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها
فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الا
جتهاد وحكم وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطي ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع بعة
وتاسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه الصلوة
والسلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من
نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل
كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم
لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا
تركهم وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه
بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل
في مثل هذه القضية بقول العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث
واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير من ارسال
الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني لما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابه امر الخلافة
بعده وتعيين ذلك

فصل

فان قيل

فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراتي عليه ثنا
ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي قال ثنا ابراهيم
بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن
سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا
لن تخلفنيه فايما مومن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة
تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي
رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته
فاجعلها له صلاة وزكاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم
من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يجلد او يفعل مثل ذلك يستحق
عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا
ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه الصلوة والسلام
على الظاهر كما قال والحكمة التي ذكرناها فحكم عليه الصلوة والسلام بجلده او ادبه
بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه الصلوة والسلام بشفقته
على امته ورافته ورحمته للمومنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه
دعوته ان يجعل دعاءه ولعنته له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه الصلوة
والسلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم
وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما
لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او
سبه انه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه و

المفزعنه وقد يحمل على انه خرج من مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف
والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته
على غير واحد من غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة
العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك
وعقري حلقي وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث
انه عليه الصلوة والسلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فحا شا
ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل
الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه من موافقة امثالها اجابة فعا
هد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة
وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار
الخوف والحذر من لعن النبي عليه الصلوة والسلام وتقبل دعائه ما يحمله على
الياس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه جل وعز لمن جلده او سبه
على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتحية لما اجترم
وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر
من اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير
وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الانصاري في شراج الحرة
اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك
يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم
احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع
بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم
ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما
لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير
حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام با
لصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته

وفيه

وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه
وانه وان نهي ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضا سوا
لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما
كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته
عكاشة من نفسه لم يكن لتعدي حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه
ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله وكذلك في
حديث الاخر مع الاعرابي حين طلب عليه الصلوة والسلام الاقتصاص منه
فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه
بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه
ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلث مرات وهذا منه عليه
الصلوة والسلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه الصلوة
والسلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفى عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب
في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه
انما ضربه عليه الصلوة والسلام لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا
تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه ه

فصل قال القاضي رحمه الله واما افعاله عليه الصلوة والسلام

الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو
والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور
اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب
على ما بيناه اذ كان عليه الصلوة والسلام لا ياخذ منها لنفسه الا ضرورته وما
يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته
وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام

حسن بقوله او يسمعه او تالف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا
حق بصالح اعماله منتظم في تزكي وظايف عباداته وقد كان يخالف في افعاله
الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد الامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب
الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب
الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وساير احواله
بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة
لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك
الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة
في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل
المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم
وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء الحديث وتركه بناء الكعبة
على قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا
من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعايشة في
الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل
الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو
من قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه
للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل الرغايب رجاء لتحبيب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله
ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملايه حتى لا يبدو منه شي من اطرافه
وحتى كان على رؤس جلسايه الطير ويتحدث مع جلسايه بحديث اولهم ويتعجب مما
يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه
الغضب ولا يقصد عن الحق ولا يبطن على جلسايه ويقول ما كان لنبي ان تكون له
خاينة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعايشة في الداخل عليه بيس ابن العشيرة
فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من
اتقاه الناس لشره فكيف جاز ان يظهر خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب

ان

ان فعله عليه الصلوة والسلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه
ويدخل في الاسلام بسبب اتباعه ورآه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا
على هذا الوجه قد خرج من مداراة الدنيا الى السياسة وقد كان يتالفهم
باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني
وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بيس ابن
العشيرة وهو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحتزر زمنه
ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة
ودفع مضرة لم يكن غيبة بل كان جايزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين
في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المشكل الوارد في
حديث بريرة من قوله عليه الصلوة والسلام لعايشة وقد اخبرته ان موالي
بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولا فقال لها عليه الصلوة والسلام اشتريها و
اشترطي لهم الولا ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا
ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله باطل والنبي صلى الله عليه وسلم
قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا الولاء والله اعلم لما باعوها من عايشة كانهم
يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه الصلوة والسلام وهو قد
حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه
عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد
انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولا اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فيها
فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اوليك لهم اللعنة وقال
وان اساتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله
عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك و
وجه ثاني قوله عليه الصلوة والسلام اشترطي لهم الولا ليس على معنى الامر
لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان
النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا
تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ

النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك بدلا عليهم به قيل هذا الوجه
الثالث ان معنى قوله استوطى لهم الولاء اي اظهري حكمه وبيني عندهم سنته لان الو
انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه
فان قيل فا معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله
واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم
يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله
تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله
فاذا كان ذلك فلا اعتراض به يكون فيه ما فيه وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه
باني اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين
من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايها العير انكم
لسارقون فليس من قول يوسف فلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل قايله ان
حسن له التاويل كائنا من كان على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك
فعلهم قبل يوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبياء ما لم
انتهم فا لوحشتي بطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم

فصل
فان قيل

فا الحكمة في اجزاء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء وما الوجه
فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودنيال
ويحيى وزكريا وعيسى وابرهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم
خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله
كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم
لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين وحتى يعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسبابا
لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعا
والتضرع

والتضرع منهم وتاكيد البصاير هم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين
وتذكره لغيرهم وموعظة لسواهم ليتاسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن
بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو الهنات فرطت منهم او غفلات
سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون امرهم اكمل وثوابهم
اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ قال ثنا ابو الحسن الصيرفي وابو
الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا
محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي قال ثنا قتيبة ثنا حماد بن زيد عن
عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي
الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما
يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة وكما قال
تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات الثلث وعن ابي هريرة ما زال
البلاء بالمومن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن
انس عنه عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا
واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي
حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي
ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب
كما روي عن لقمن انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمومن يختبر
بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته اليه
ويوسف نايم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل
مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى فبكت
جدة له عجوز لبكايه وبينهما جدار ولا علم عنده يعقوب وابنه فعوقب
بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما
علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطر
فليتغد عند ال يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي
عن الليث في سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه

واعلظو الد الا ابوب فانه مرفق به مخافة على نزعه فعافيه الله ببلايه
ومحنة سليمان لما ذكرناه من بنيه في كون نحن في جنبة اصبهان او اللعن بالمعيشة في
دار ولا علم عنده وهذه فايدة شدة المرض والوجع بالنبي عليه الصلوة والسلام
قالت عايشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك
وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك
رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي
سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق
اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء
يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى با
لفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه صلى الله
عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن
رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى
من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون له كفارة وروي
هذا عن عايشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه الصلوة والسلام
من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب
المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما
يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة
يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم
يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق الشجر وحكمة اخرى اود
عها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم
لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مونة النزع
وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاة
واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة
وقد قال عليه الصلوة والسلام مثل المومن مثل خامة الزرع تفيها الريح هكذا

وهكذا

وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفاها فاذا سكنت اعتدلت
وكذلك المومن يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صما معتدلة حتى يقصمه الله
معناه ان المومن مرزا مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله
منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها
للرياح وتمايلها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المومن رياح البلايا
واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه
ومعرفة نعمته عليه برفع بلايه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه
السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه
لعادته بما تقدم من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على
المصايب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافى في
غالب احواله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه
لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة
ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة
اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك
عادة الله في اعدايه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة الاية ففاجاهم الموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به
على غير استعداد بغتة ولهذا كره السلف موت الفجاة ومنه في حديث ابراهيم
كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاة وحكمة ثالثة ان
الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته
وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه
متعلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويودي
الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا
نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد طلب
التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله
وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين

بعده كتاب الله وعترته والانصار عيبته ودعي الحكيم كتاب لئلا تفضل امته اما في النص على الخلاف او الله اعلم مرادهم ثم راي الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المومنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما واستدراجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال عليه الصلوة والسلام في رجل مات فجاة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاة راحة للمومن واخذة اسف للكافر او قال للفاجر وذلك لان الموت ياتي المومن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف جا وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه الصلوة والسلام مستريح ومستراح منه وتاتي الكافر او قال الفاجر منيته على غير استعداد لا اهبة ولا مقدمات ولا منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شي عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شي له والى هذا المعنى اشار عليه الصلوة والسلام بقوله من احب لقا الله احب الله لقاه ومن لقا الله كره الله لقاه

القسم الرابع في تصرف

وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلوة والسلام قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا يا محمد اي ارعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد

اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المومنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المومنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه الصلوة والسلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه الصلوة والسلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤون ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه الصلوة والسلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم وكذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روي انس عنه عليه الصلوة والسلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسم احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعيد انه نظر الى رجل اسمه لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع الناس اكراما له بذلك ان تسمى احد باسماء الانبياء عليهم الصلوة والسلام وغير لذلك اسماء جماعة تسموا باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز

هذا كله بعده عليه الصلوة والسلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى
جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه الصلوة والسلام ان ذلك اسم المهدي
وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد
ابن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة
وقد فصلت الكلام في هذا القسم على ما بين كما قدمنا والله المستعان

الباب الاول في بيان

ما هو في حقه عليه الصلوة والسلام سب او نقص من تعريض او نص اعلم
وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به
نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء
على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب
والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على
هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى
مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في
جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة
عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من
العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر
ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال
ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو
الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عندها
وبمثله قالوا ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم
لكنهم قالوا هي ردة وروي مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري
مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقص النبي صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه
وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته

وتكفيره

وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم
خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع
على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى
الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء
ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب
الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر احتج ابرهيم
ابن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة
بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم فقال ابو سليمان الخطابي لا
اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن
مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن
حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال
ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة
القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب
والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا
يقول من سب النبي صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما
كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى
الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل
على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم
من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله
عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رد النبي صلى الله عليه وسلم
ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ واراد به عيبه قتل وقال بعض علما بنا
اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا
استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي الجمال يتيم ابي طالب بالقتل و
افتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم

اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي صفة
هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج
من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق
رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول
يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب
فقال ابن ابي سليمان للذي ساله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب
ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان
وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه
وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد ما عليك واشك الى النبي صلى
الله عليه وسلم وقال ان سالت او جهلت فقد جهل فسال النبي صلى الله عليه
وسلم بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما
شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء
مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات
اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري
وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب
للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه و
نبينا عليه الصلوة والسلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء و
امر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين
انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان
اية للجميع وكبر الناس وجا كلب فولغ من دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه الصلوة والسلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم
وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم
يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو
على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب ابن ربيع القروي مذهب

مالك

مالك واصحابه ان من قال فيه عليه الصلوة والسلام ما فيه نقص قتل دون
استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى
الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب
كله مما عده العلماء سبا او تنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا
متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم
من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو والنسيان او السحر او ما اصابه من جرح
او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه
فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك
ويأتي ما يدل عليه

فصل

في الحجة

في الايجاب قتل من سبه او عابه صلى الله عليه وسلم فمن القران لعنه الله تعالى
لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه صلى الله عليه وسلم ولا خلاف
في قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال
ان الذين يوذون الله ورسوله الاية وقال في قاتل المومن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا
القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر
عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون
وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المومنين ما دون القتل من الضرب
والنكال فكان حكم موذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يو
منون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا
من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم الاية الى قوله تعالى ان تحبط
اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاوك حيوك بما لم
يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين
يوذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم و
قال تعالى ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم

قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع
فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن
الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيويه قالا ثنا
محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن
جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين بن علي
عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن
سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب
ابن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه
من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان
قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امر يوم الفتح بقتل ابن خطل
وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه الصلوة والسلام وفي حديث اخر
ان رجلا كان يسبه عليه الصلوة والسلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد
انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه
من الكفار كالنضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل
الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى
البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم
صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من
يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروي ايضا ان امرأة كانت
تسبه عليه الصلوة والسلام فقال من يكفيني عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد
فقتلها وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ر
سول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى
الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امرأة
هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها

فبلغ

فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه
الحدود وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها
فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه
وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم
وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث
ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على
رجل من المسلمين وحكى القاضي اسماعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث
انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه فقلت
يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه لسبه اياك فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه
احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل
ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة
وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يجوز قتل امرئ مسلم
بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد
حل دمه وسال الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له
ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك فقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد
نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال
القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية ورواها غير واحد من اصحاب مناقب
مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا
الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم او من
لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف
هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على اصله
والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار
ان من سبه او تنقصه فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره

ولهذا انما حكى له كثير من العلماء بالردة وهو بداية الناقلين عن مالك والاخذ عن
وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر
فيقتل حداً وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متمادياً على قوله غير منكر له
ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الا
ستهزاء والذم واعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر
ايضا فهذا كافر بلا اختلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هو قولهم ان كان
ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا
قول القائل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ذا
وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل لانه
قد غير دينه وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه
ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم الحرمة مزية على امته وساب الحرمن امته
يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه الصلوة والسلام القتل لعظيم قدره وشفوف
منزلته على غيره

فصل

فان قلت

فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم ودعا عليه
ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبي
صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل
المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان
ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول
يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم
ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان
يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على خائنة منهم بينة

منهم

منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة
الناس للتالف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله
قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله
غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة
مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك
نذر اهدر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى
القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه الصلوة والسلام
على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها
اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا وكان مع هذا
يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه الصلوة والسلام على
هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما تظاهروا
ولخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة
وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال
لعله لم يثبت عنده عليه الصلوة والسلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم
يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة والدماء لا تستباح الا
بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهودي في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى
كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم يتفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله
عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا
بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم عليكم فانما يقول السام عليكم
فقولوا عليك وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا
فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة با
لعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام ولم يتميز بعد الخبيث من الطيب
وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة

سيد المرسلين فاقتصار الذين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقوله ولارتاب
الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول
في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة
وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله
ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال
اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم
من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد
ابن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي
ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال معناه اذا
اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخت ما قبلها وقال بعض مشايخنا
لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى
الله عليه وسلم الطعن عليه والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الراي
وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى
الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذ
قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا
بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسامون دينكم والسام والسآمة الملال وهذا
دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث با
باب اذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا
وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد
قدمنا ان الاذى والسب في حقه عليه الصلاة والسلام سواء وقال القاضي
ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث

هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة
للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف
والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة
والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتالف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا
معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه الصلاة والسلام على سحره
وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم
وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء
واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة
القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم
ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان
قلت فقد جاء الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انه عليه الصلاة والسلام
ما انتقم لنفسه من شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله
التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم فيه منها له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة
من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الا
عراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره
حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد
فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح
وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز او يكون
هذا انما اذاه به كافر وجاء بعد ذلك باسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن
الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا
مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف
غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل

قال القاضي رحمه الله تقدم الكلام في قتل

في قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او
محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء
وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه الصلوة والسلام غير قاصد للسب [والازراء]
ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه الصلوة والسلام بكلمة الكفر من لعنه
او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه
عليه الصلوة والسلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في
تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او
وفور زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه الصلوة والسلام وتوا [والخبر بها عن]
عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته
وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على
ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة
وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم ولا
يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه فاذا
كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الا
ندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم
في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن محمد بن ابي زيد لا يعذر
بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى
الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه
وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله
على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كا
لعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود
ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا [عبيد]
لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت
حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها

معفوا

معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل
الوجه الثالث

ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به
انتقل بذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان
كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الاخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم
ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب وغيره وان كان مستسرا بذلك فحكمه
حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه
من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم
في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء
تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين
فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال
فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا
او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال
اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب
ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم
في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال
محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله
فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة
القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه
وسلم اسود قتل لم يكن عليه الصلوة والسلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد
قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا
نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه
الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة ان شاء الله تعالى

فصل
الوجه الرابع

ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله
عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فها
هنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء
المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلّب حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظّم
حرمة الدم ودرا الحد بالشبهه لاحتمال القول وقد اختلف ايمتنا في رجل اغضبه غريمه
فقال له صلّ على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه
فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة
الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن
مضمرا الشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم
الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه
وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينه تدل على شتم النبي صلى
الله عليه وسلم او شتم الملايكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها
كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هولاء لاجل قول الاخر له
صل على النبي صلى الله عليه وسلم فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل
امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه
ومذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا القتل وتوقف ابو الحسن القابسي
في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود
والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل
اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن
ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم
من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بيّن وما ترد
اليه التاويلات لا بد من انعام النظر فيه هذا معنى كلامه وحكى عن ابي محمد بن ابي

زيد فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرايل ولعن الله بني ادم وذكر انه
لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان
وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن
حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جا به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة
السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب
رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسلة المتقدمة
ومثل هذا ما يجري في كلام سفها الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة
كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من ابايه واجداده
جماعة من الانبيا ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلم فينبغي الزجر عنه
وتبيين ما جهل قايله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في ابايه من الانبياء
على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال
اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في ابايه
او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن
قرينة في المسالتين تقتضي تخصيص بعض ابايه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم
ممن سبه منهم وقد رايت لابي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى ادم انه
ان ثبت ذلك عليه قتل وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه
بشي ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبيا يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو
اسحاق ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور
يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها
قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال
سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه
وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضايه اتي برجل هاتر
رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون
قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب
بدينه فلم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده فضربه بالسوط واطلقه وقد غير عمرو بن الحطا

اسم محمد بن زيد بن الخطاب لمثل ذلك وذلك انه سمع رجلا يسب رجلا اسمه محمد
ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع وقال عمر لابن اخيه محمد لا ارى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
ثم هم بتغيير اسماء من تسمى باسماء الانبياء اكراما لهم لذلك فغير اسماء قوم معرفين ثم ترك ذلك

فصل
الوجه الخامس

ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه ويستشهد
ببعض احواله عليه الصلوة والسلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل
والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته
ليس على طريق التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل
وعدم التوقير لنبيه عليه الصلوة والسلام او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القا يل
ان قيل في السوء فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او
انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم
او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين
في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان
ليس فيكما من فقير على ان آخر البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي
صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي
بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل
لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه
اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين
وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان وكقول
حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر
ابن زيدون كان ابا بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد الى امثال هذا وانما كثر

بالاستشهاد هنا مع استثقالنا لحكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس
في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم
بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه
تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى
حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجتنبنا عنه وغرضنا الآن
الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن
سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري
ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر
حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في
كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه
او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره
والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده
فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة
مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة
كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا
ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر
فرعون فيكم فان عصى موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء
انت المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر
القتبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر به او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه
اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا
وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل
من رسول الله من نفره لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته
ان يضاف اليه ولا يضاف هو الى غيره فالحكم في امثال هذا ما بسطناه
في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله

واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عيّر رجلاً
بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض
بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يودب قال ولا ينبغي
لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز
لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت
هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما
امرنا الله وسيل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كانه وجه نكير ولرجل عبوس
كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما
ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين راه من وجهه ام عاف النظر
اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين
فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن
نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر حاله من
عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا
في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله
يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى
على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة
وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف
بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي اميا
فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال
ابو الحسن القابسي اما اطلاق الكفر عليه فخطا لكنه مخطي في استشهاده
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه
وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا
استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله يترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه
الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسيلة استفتى فيها

بعض

بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه اخر
بشي فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى
الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس
افتى بقتله

فصل
الوجه السادس

ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة
مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة
والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والاعلام بقوله والتنفير منه
والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او مجلس على طريق الرد له
والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك
والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يوخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع
بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه س عنه
والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ايمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله قوله
لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان يعظ العامة او يودب الصبيان
فان من هذه سريرته لا يومن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هولاء الايجاب لحق النبي عليه الصلاة
والسلام ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم تام
واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مومن لكنه
اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب
في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث
فكيف بمثل هذا وقد سيل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى
ايسعه ان لا يودي شهادته قال ان رجا انفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم
ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الا
باحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه
بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسو ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اثرا لغير
غرض شرعي بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد

حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم
والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه
وكذلك وقع من امثاله في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه
المتقدمة واجمع السلف والخلف من ايمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين
في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل
انكار لبعض هذا على الحرث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقايلين
بالمخلوق وهذه الوجوه السايغة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية
سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس
ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال
وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قايله
الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام
من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن
ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه
البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول
القران مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما
سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ
قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر
استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية
اشعار هجوه عليه الصلوة والسلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يواخذ بقوله ولا
تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن
سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض
من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم
وكتابه وقراته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم
فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء
ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قايلها

واخذه

واخذه المفترى عليه بذنبه وهذا ابو القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما
اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه
استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى
عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل

الوجه السابع

ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرا
من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته
من مقاسات اعدايه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بوس
زمنه ومر عليه من معانات عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة
ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة
اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ
لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده
ويحققون فوايده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف
تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص
عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم
في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام
وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لي
لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل له
او متقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته
فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتداه والتعجب من منح الله قبله
وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته
اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا
ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم

باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة
الملائكة المسومين ولو كان ابن ملك وذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال
ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفيان عنه
هل في ابايه من ملك ثم قال ولو كان في ابايه من ملك لقلنا رجل يطلب ملك
ابيه فاذا اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم
السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارمياء وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب
وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله فهي مدحة له وفضيلة
ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق
المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه
في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى
العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراة المعرفة وانما هي الة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا
حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها
سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه
محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته
كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه
وحتم موته وفنايه وهلم جرا الى ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن
الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمته بيته زهدا
ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها
كل هذا من فضايله وماثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد منها شيا مورده وقصد بها
مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصد لحق بالفصول
التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار ساير الانبيا عليهم الصلوة والسلام في
الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تاويل وتردد احتمال
فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله
مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى

وقال

وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال
لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها
فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم
كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم
عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في
حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من
غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها
وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها فتفرقوا في تاويلها
شذر مذر فمنهم من امن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
ان لا يذكر منها شي في حق الله تعالى ولا في حق انبيايه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام
على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها
ضعيفة المعنى واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في
مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب
الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها
اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس
واشفى للنفس

فصل

فيما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته
ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلاة
والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله
وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدايد ظهر عليه الا
شفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفدا للنبي صلى الله عليه وسلم
لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه
الصلاة والسلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر

من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل
يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة
ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل
يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ
وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة
الصغاير فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع
المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلوة والسلام وما يجب له من تعزير واعظام
وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض
الجايرين قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما ياباه ويكفر قائله
واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله
في حقه عليه الصلوة والسلام اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشي او تحسنه وتحريرها
وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال عليه الصلوة والسلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده
على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه
الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه
وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة
عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اية من القران
حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب ويخفض بها صوته اعظاما
لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم

الباب الثاني في حكم ساب

سابه وشانيه ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما
هو سب واذى في حقه عليه الصلوة والسلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم
ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا
ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته

كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على
هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جا تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا
تسقطه التوبة كسائر الحدود وقال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب
وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد في
مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله
عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في
الزنديق اذا جا تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا
من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه
فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه تائبا فكانا وقفنا
على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا قول
اصبغ ومسالة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل
المتقدم لانه حق متعلق للنبي ولامته بسببه ولا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين
والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند
الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه الصلوة
والسلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد
كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا
لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي
بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب
قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه الصلوة والسلام كالارتداد المقبول فيه
التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب
النبي تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد
القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها
ولم يقتل ساب النبي لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا
تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر

ولكن بمعنى الازدراء والاستخفاف ولان توبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا
والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من سب النبي صلى
الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين التي
لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هولا مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج
الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرنا
وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة وقالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابا قتل
فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه
فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه
واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي وتحقيره
ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه
وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون
عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا
نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان
ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات
بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم يثبت له خصايصه كقتل تارك الصلوة واما
من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه
كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل
توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله تعالى المطلع على صحة
اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا
كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه
التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم
في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شا الله تعالى

فصل اذا قلنا بالاستتابة

حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما وقد اختلف

السلف

السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى
ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم
وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطا بن ابي رباح والنخعي
والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق واصحاب الراي
وذهب طاوس ومحمد ابن حسن وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا
يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه
الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا
ندرا القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطا انه ان
كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلما على ان المرتد والمرتدة في
ذلك سوا وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطا وقتادة وروي
عن ابن عباس لا تقتل النسا في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى
في ذلك سوا واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلثة ايام يحبس
فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك
وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد
ابن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلثة ايام
ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلثا روايتان   بيان
عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الراي
وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقال
الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى
الاسلام ثلث مرات فان ابى قتل وروي عن علي يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب
ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب
ثلاث مرات في ثلاثة ايام وثلث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم
يدعى المرتد الى الاسلام ثلث مرات فان ابى ضرب عنقه وقد اختلف على هذا هل يهدد
او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا   دعا
ولا تعطيشا ويوتى من الطعام ما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة

بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر
بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده
اذا استوثق منه سوا ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى
وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع ارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان
الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو
قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحاق يقتل في الرابعة وقال اصحاب
الراي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد
في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي

فصل قال القاضي رحمه الله تعالى هذا حكم

من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة
عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه
اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع
عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره
اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي
هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل
من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه
امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك
والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب
المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه
وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى
تظهر توبته قال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل
في القتل لم ينبغي ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى

ان يقيم ويحمل عليه من القيود ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا
ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسالة اخرى مثلها ولا تهراق الدما
الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحهما ما اسقطهما
عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون
ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ
الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد

فصل قال القاضي رحمه الله

والله ولي الارشاد ٩٧ هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره
او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه
الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما
من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر
استدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا
في دينكم الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه
ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا
ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون
بكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم
والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم النبي صلى الله عليه
وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي
كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها
عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام
يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له
وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا
للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف
ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت

عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي
الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده
الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب
عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة
المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن
القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة او احدا
من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية
وعند محمد بن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن
ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول
الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي
قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا
شيء عليهم لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل
عليه قران وانما هو شيء تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني
ديننا خير من دينكم دين الحمير ونحو هذا من قبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان
محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الوجيع والسجن الطويل
قال واما ان شتم النبي شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل
يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طائعا وقال ابن سحنون
في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة
مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب
النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك
ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك
اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم

على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما
لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل رضي
الله عنه ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما
به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو مصعب الزهري
قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته
او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو مصعب
عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصراني بمصر
شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة فهو الان في الجنة ما له لم ينفع نفسه
اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح الناس منه قال مالك ارى ان تضرب عنقه
قال ولقد كدت الا اتكلم فيها بشيء ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار
وان شاء قتله ثم حرق جثته بالنار وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد
كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان
يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق
بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق
وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية
استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل
عنها به وقاله غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب
في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي
يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه
من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله
واما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله
عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله
عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط
القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله

فصل في ميراث من قتل بسب النبي

بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء في ميراث
من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين
من قبل ان شتم النبي كفر يشبه كفر الزندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين
ان كان مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل
حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه
على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك
لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وساير احكامه حكم الاسلام
ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا
يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن ولتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ
ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تايب ولا
مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله
ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن بكفره
مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين
الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه
وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا
تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم
مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب
ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلن دينا مما يفارق به الاسلام
ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي و
وابو ثور وابن ابي ليلى اختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود
وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحاق وابو حنيفة
يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد فللمسلمين
وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف قول سحنون

ولاختلا

ولاختلافهما على قول مالك في ميراث الزنديق فمن ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه
بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد
من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب
محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه
وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه
ان اعترف بما شهد عليه به فتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال
وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسيل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني
يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين
ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله باختصار

الباب الثالث في حكم

من سب الله تعالى وملايكته وانبياءه وكتبه وال النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه
وصحبه ولا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال
ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحاق بن
يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله بارتداده الى
دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك
مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي
والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة
وهو الذي حكاه القاضي بن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد ابن ابي زيد فيما حكي عنه في
رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر
كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هرون
ابن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه
بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر
وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى

وتعلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى ابو عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين
ابن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى التثقيل في الحبس
والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى الشكى فوجه من قال في ساب الله بالاستتابة
كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار
الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك
بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا
يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر
واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه الاول
لتمسك به وحكم هذا المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك
واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف من فصوله

فصل

واما من اضاف

الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق
التاويل والاجتهاد والخطا المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة
او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف
قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان
تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول
بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم
وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك
ابن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا وما
رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا
قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن
خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله يستتاب اظهر ذلك او اسروه فان
تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر
وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله له في المبسوط في الابا

ضية

ضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم السوء وبهذا
عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب
والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية
والمرجئة وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلف
الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري
الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن
خير من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا
من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه
شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية
ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل
ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري
من ايمة العراق جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله
في اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر
اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك
فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحاق
الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء
والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين
وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه
معنى القول الاخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر والحسن البصري وهو
راي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل
حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم
قال اسماعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا
والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل
وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل
الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة

فصل
في تحقيق القول

في إكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في إكفار أصحاب البدع والأهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه إلى كفر هو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله إليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم بأحكامهم ولهذا قال سحنون لا إعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع أصحاب مالك المغيرة وابن كنانة وأشهب قال لأنه مسلم وذنبه لم يخرجه من الإسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير أو ضده واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة الصلاة خلفهم منه وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق وقال إنها من المعوصات إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وإنما قالوا قولا يؤدي إليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب قول إمامه مالك بن أنس حتى قال في بعض كلامه إنهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال أيضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين وأكثر ميله إلى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه أبي الحسن الأشعري وأكثر قوله ترك التكفير وأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد أن الله جسم أو المسيح أو بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب أبو المعالي رحمه الله في أجوبته لأبي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بأن الغلط فيها يصعب لأن إدخال كافر في الملة أو إخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في أهل التأويل فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه الصلاة والسلام فإذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه وألفاظ الأحاديث

الواردة

الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الإسلام وتسميته الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية وإذا كان محتملا للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر إنما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون أهل الإسلام فقتلهم هاهنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن احتج بقوله عليه الصلاة والسلام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن الإيمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام بشيء أجابه الآخر أن معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضهم بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله وإن احتج بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة ولم يقل منه وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه اللفظ أجابهم الآخرون بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون في أمتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم بفي ولا على إدخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة

اقربها قول الجهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل
ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر
وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف
الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق
الا ان يكون ممن لا يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى
تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق في ذلك فرق الامة
اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما
الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني
قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في
طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا
من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن
لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل
هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين
او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك
فقد كذب النص او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر ٥

فصل في بيان ما هو

من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف
اللبس فيه ومورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت
بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية
وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم
او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم
ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة
من الروافض وكذلك من اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير

قدم

قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن
عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر
باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعيين وكذلك من ادعى
مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية
والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في
ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الآباد
في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالاهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا خصوصا او احد من الا
نبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والا
روسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه
جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من الرافضة وان كان
بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة
النبوة ونبوة نبينا عليه الصلوة والسلام ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى في
ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية
والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع
واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيمة
والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها
الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل
الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا تعمد الكذب
فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد
من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب
مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا او نبيا من القردة والخنازير
والدواب والدود ويحتج بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف
انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه
مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة

بما تقدم وبنبوة نبينا عليه الصلوة والسلام ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقريشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه الصلوة والسلام او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عندها ولا يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباههما ولا او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه الصلوة والسلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود

للصنم

للصنم او الشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها والتزيي بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من استحل القتل او شرب او الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين فالاجتهاد صحبتهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول

وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقرآن
وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه
او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه
وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضيمري انه لا يدل على الله
ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك
القول وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي
صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا
مما نص الله فيه بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف
المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل
عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار
او البعث والحساب او القيامة فهو كافر باجماع النص عليه واجماع الامة على صحة نقله
متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب
والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية
وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك
وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة
افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال
شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او
قتل عثمان وخلافة علي رضي الله عنهم مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة
فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار
هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة
الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر
الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء
والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع

المتفق

المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى الآية وقوله عليه الصلوة والسلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد
خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون
الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب آخرون
الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه
بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر
القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه
لا يكفر احد بقول ولا رأي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله
ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل
قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها
الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان
ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في
اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان
وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة
من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر
ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الا
جماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال
ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات
فاختلف العلماء ها هنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن
الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال
لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان
مقالته حق واحتجوا بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها
التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله
له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل
وقد اجاب الآخر عن الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة

على جنايته بل في نفس البحث الذي لا يعلم إلا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به
شرع يقطع عليه فيكون الشك حينئذ كفرا فأما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقل
أو يكون قدر بمعنى ضيّق ويكون ما فعله بنفسه إزراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل إنما
قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي أذهبت
لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمان الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا
من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله أمثلة في
كلامهم كقوله لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين فأما من أثبت
الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر
الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه
كفره لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم فكأنهم صرحوا عنده
بما أدى إليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم
ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا
على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد
نحن وأنتم أنه كفر بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف
الناس في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب
ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم
ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ
عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر
الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر
ورأي الخوارج والاعتزال فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم
بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين
وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي
أبو بكر وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد
وشبهها من الدقائق فالمنع في إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل
بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد قدمناه في الفصل قبله

من الكلام

من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله وتوفيقه

فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي
عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه
وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب
والمبسوط وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوط
طوعا قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا وأما من دعوى
الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه
فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان الله تعالى
بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال المخزومي في المبسوط ومحمد بن
مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان أو كافرا فإن تاب وإلا قتل وقال
مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه
الذي به كفر قتل إلا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله بن
لبابة وشيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به
لله وللنبي وإجماعهم على ذلك وهو نحو قول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم
منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله به وسب نبيه لأنا عاهدناهم
على أن لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم ولا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه
فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم
وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه دين
لا يقر عليه أحد ولا تؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما أعلم من قاله غيره

فصل هذا حكم من صرح بسبه وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلاهيته
فأما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلاهية والرسالة أو نافي أن
يكون الله خالقه أو ربه وقال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة
جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما
قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل

ثبته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك
زجراً لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف
استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي
لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون
والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما
فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك
لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه
كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه
من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحرث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير
واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في
ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو
عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه
في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقر وكان على مذهب الحلاج
بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين ابن ابي عمر المالكي وقال
ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه
او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية
فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب في
يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال
ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن باريه وادعى انه لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره
ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا يقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي رحمه
الله تعالى في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة
الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين

فصل

واما من تكلم من سقط
القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة
ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام
لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد

فان

فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله
بعظيم عزته وكبريائه فهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الا
ستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة
بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده
وكان بعض الفقهاء ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى ابن وهب وابان بن عيسى
قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله
القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم رب عبدناه ثم لا
ننتصر له انا اذاً لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن
ابن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الا
ذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين
وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدر
عنه من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصاً
وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها
وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك
اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله وشرح قوله انه لا يقتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها
على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء
ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا بعظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا عنه
ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها ما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره
علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط
اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا ... قد كنت تسقينا فما
بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا ... في اشباه لهذا الكلام الجهال ومن لم يقومه
ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه
والاغلاظ له من العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله
المنزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم

ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا
وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته
وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما
لاسمه عن ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي
كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه
ويقول هؤلاء يتمندلون بالله ويتنزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب
النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والموفق الله سبحانه

فصل وحكم من سب ساير انبياء الله تعالى وملايكته
عليهم السلام واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله
عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابرهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن بالله وملايكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله
ابن القاسم رحمه الله تعالى وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون رحمهم الله تعالى
فيمن شتم الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن شتمهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم
وروى سحنون رحمه الله عن ابن القاسم رحمه الله تعالى من سب الانبياء من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في
هذا وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله تعالى وملايكته
قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملايكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك رحمه الله عنه
فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا
قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم وكان النبي
عليه الصلوة والسلام اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه رضي الله عنهم
على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو
الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك
قتل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملايكة والنبيين

او على

او على معينين ممن حققنا كونه من الملايكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه
او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر والمتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل
ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران من الملايكة
ومن سمي فيه من الانبيا وكعزرايل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملايكة
المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على
كونه من الملايكة والانبيا كهاروت وماروت في الملايكة والخضر ولقمان وذي
القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت
الذي تدعي المجوس انه نبي والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم
فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويودب بقدر
حال المقول فيه لا سيما من عرفت فضيلته وصديقيته منهم وان لم يثبت نبوته واما
انكار نبوتهم او كون الاخر من الملايكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لا
ختلاف العلما في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان
عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل
العلم فكيف للعامة

فصل واعلم ان من استخف بالقران او
المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او بشيء منه او كذب
بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك
او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب
عزيز لا ياتيه الباطل ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام
ابن احمد رحمه الله تعالى قال ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المومن ثنا
ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا
محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المرا في القران كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه
وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو
كافر وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي

للمسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر سورة قل اعوذ برب الناس
انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما
فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه
حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران
عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى مالك رضي الله عنه قتل من سب عايشة رضي الله
عنها بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران قتل لانه كذب بما فيه وقال ابن
القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقال عبد الرحمن بن مهدي وقال
محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله عز وجل تضرب عنقه الا ان
يتوب ولذلك من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله تعالى
لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا
على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان ابن الحداد جميع من ينتحل التوحيد
متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له ليس
كما قرات ويقول اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه انه سمع انه من كفر بحرف
منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من القران فقد كفر به كله وقال
اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به
فقد كفر بالله وقد سيل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الاخر لعن الله
التوراة فتشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد اخر انه ساله عن القضية فقال انما لعنت توراة
اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل
اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشي من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفقا هما
على لعن التوراة مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقها بغداد على استتابة ابن شنبوذ
المقري احد ايمة المقريين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراته واقرايه بشواذ من الحروف مما
ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه
في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية وكان فيمن افتى عليه بذلك
ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك
وما علمك وقال اردت سو الادب ولم ارد القران قال ابو محمد واما من لعن المصحف

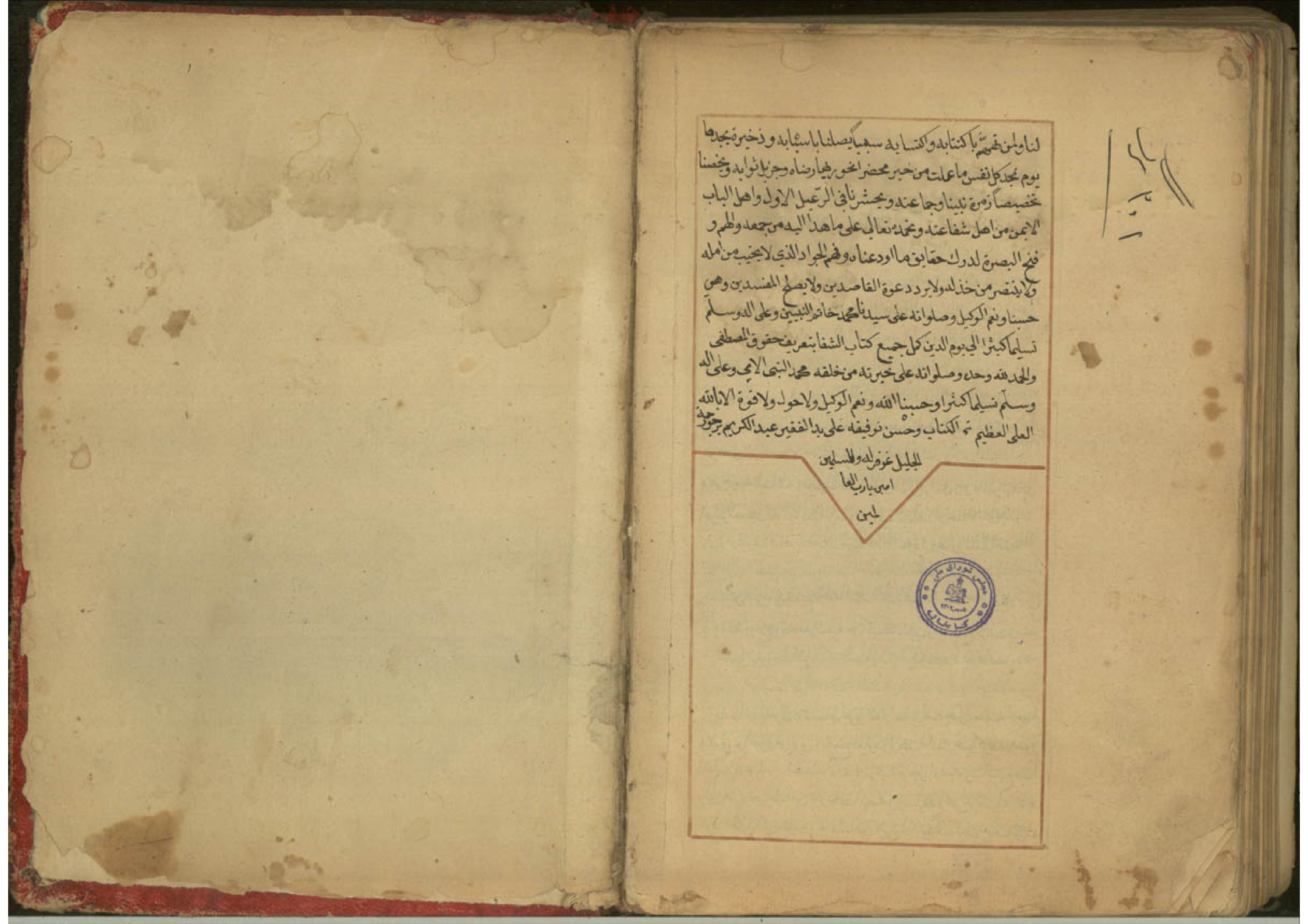
فانه

فانه يقتل **فصل** وسب ال بيته عليه الصلوة والسلام
وازواجه واصحابه وتنقصهم حرام ملعون فاعله **حدثنا** القاضي الشهيد ابو
علي رحمه الله تعالى قال **ثنا** ابن محبوب ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل
قال **ثنا** ابو يعلى **ثنا** ابو علي السنجي قال **ثنا** محبوب **ثنا** الترمذي **ثنا** محمد
ابن يحيى يعقوب بن ابراهيم **ثنا** عبيدة بن ابي رايطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله
ابن مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا
تسبوا اصحابي فانه يجي قوم اخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم
ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه الصلوة والسلام
من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم الله النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
يوذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا توذوني في اصحابي ومن اذاهم
فقد اذاني قال عليه الصلوة والسلام لا توذوني في عايشة رضي الله عنها وقال في فا
طمة بضعة مني يوذيني ما اذاها وقد اختلف العلما في هذا فمشهور مذهب مالك رضي
الله تعالى عنه في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى
الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معاوية او عمرو بن العاص رضي الله عنهم فان قال كانوا
على ضلال او كفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال
ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض
ابي بكر رضي الله عنه فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به
القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن
ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم انهم كانوا

على ضلال او كفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بغير هذا نكل النكال الشديد
وروي عن مالك رضي الله عنه من سب ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم
قال لان من رماها فقد خالف القران وقال ابن شعبان رحمه الله عنه لان الله تعالى
يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى
ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه الله
المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثير
وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عايشة رضي الله عنها فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك فسبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في
تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك رضي الله عنه في قتل من سب عايشة رضي الله
عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا
لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى
وتعالى القتل كان موذيه نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عايشة بالكوفة فقدم الى موسى
ابن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين سوطا وحلق راسه
واسلمه في الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله
ابن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم
احد بعده اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب عنه
اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك رضي الله عنه
من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله
تعالى الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوءوا الدار والا
يمان من قبلهم الاية وهولاء الانصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق له في المسلمين وفي
كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا
حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله
عليه الصلوة والسلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة
حد حد الفرية لانه سب له وان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له

ولا

والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة
لحرمة هولاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد كان ولي القيام به
قال ومن سب غير عايشة رضي الله عنها من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ورضي الله عنهن ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته والاخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول
وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول
صلى الله عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امراة
بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه ما حلفت الا بالنهار وصوب
قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف رضي الله عنه ذكر هذا لابنة هذا ابي بكر
في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله
هو اخص باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته
وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد علي
ابو بكر الصديق انه ان كان في مثل ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه وان
كان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت وذكرها رواية الى القصة قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه
واستوفي الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج
الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع كرعت في مشارب
من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت
لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدي يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي بما
ارويه عما اروية والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه
والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه
لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله
واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله ويحمي اعراضنا عن ناره
الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله



لنا ولمن فهمه باكتسابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا
تخصيصا زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب
الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم و
فتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه وفهم الجواد الذي لا يخيب من امله
ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح المفسدين وهو
حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وسلم
تسليما كثيرا الى يوم الدين كمل جميع كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى
والحمد لله وحده وصلواته على خيرته من خلقه محمد النبي الامي وعلى آله
وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم تم الكتاب وحسن توفيقه على يد الفقير عبد الكريم بن جوهر
الجليل غفر له وللمسلمين
امين يا رب العالمين
امين

